16 em Année No. 779

Lundi — 37 — 6 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٧٩ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٩ رجب سنة ١٣٦٧ — ٧ يونيو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

زعيمان

للأستاذ عباس محمود العقاد

والزعيمان هما أحمد عرابي المصري ، وإبراهام لنكولن الأمريكي ، وكلاهما كان صاحب دور حاسم في تاريخ وطنه ، وكلاهما كانت سيرته موضوع كتاب من تأليف كاتب واحد ، وهو الكاتب المحقق الأستاذ محمود الخفيف .

تقرأ في الصفحات الأولى من كتاب أحمد عرابي : « مهما يكن من الأمر فما أحسب أن في الناقين على عرابي من يستطيع أن يماري في أنه كان زعيم حركة وداعية فكرة ، وأنه — أخطأ أو أصاب — كان مخلصاً فيما يفعل أو يقول ، وأنه قبل ذلك كله ، وفوق ذلك كله ، كان أول مصري فلاح في مصر الحديثة نجم من بين عامة الفلاحين في قرية من قرى مصر فاضطلع بقضية من القضايا الوطنية الكبرى » .

ثم تقرأ الكتاب إلى صفحاته الأخيرة فتخرج منه بهذه الصورة التي ارتسمها المؤلف وثبت ألوانها وظلالها بالوقائع والأسانيد وجمع لها من الوثائق ما لا غنى عنه في فهم هذا الزعيم ، ولا في فهم مصر الحديثة وعوامل نهضتها ودخائل تاريخها في الجيلين الأخيرين :

ومما لا شك فيه أن زعيم الثورة المصرية في القرن التاسع عشر قد أصاب وأخطأ ، وقد نجح وأخفق ، وقد أحسن وأساء .

ولكنه لم يكن قط خائناً متواطئاً مع الإنجليز على مصلحة وطنه كما افترى عليه خصومه ، وإنما خانه التوفيق كما خانه بعض أعوانه ، وكان تصرف الإنجليز معه بعد إخفاقه تصرفاً طبيعياً لا غرابة فيه إذا رجعنا إلى المعهود من سياستهم ومن خططهم في معاملة أمثاله ، فهم لم يرفعوا عنه العقوبة القصوى لتواطؤه بينهم وبينه قبل الثورة العرابية أو بعدها ، ولكنهم فعلوا ذلك لأنهم لم يعاقبوا أحداً من الزعماء الوطنيين بعقوبة أشد من عقوبته كما رأينا في مصر والهند والسودان وأفريقية الجنوبية وغيرها من البلدان التي كانت لهم يد في محاسبة زعمائها ، ولأنهم من الجهة الأخرى كانوا يسوغون احتلالهم لمصر بفساد الأحوال فيها ، فلم يكن في وسعهم أن يحكموا بأقصى العقوبة على رجل يثور على فساد الأحوال .

وليس تمحيص التاريخ المصري ، ولا تمحيص الزعيم المصري ، كل ما يستفاد من قراءة كتاب الأستاذ الخفيف عن فترة الثورة العرابية ، فإن أساليب السياسة الأوربية في القرن العشرين ، وأساليب الاستعمار الأوربي على العموم ، بعض ما يستفاد من هذا الكتاب الذي يعد في بابه قليل النظير .

***

أما سيرة إبراهام لنكولن فهي السيرة الوحيدة التي ظهرت في اللغة العربية لهذا الرجل المظيم ، وهي سيرة لم يستوعبها كتاب واحد ولا كتب عدة في اللغة الإنجليزية بين المتكلمين بها

أو القادرين على الاطلاع فيها ، حيث يعلم الناس كثيراً من تاريخ الولايات المتحدة ، فيستغنون عن إقحام هذا التاريخ فى سيرة هذا الزعيم أو ذاك .

والواقع أنه لا توجد فى التاريخ كله فائدة أو عبرة لا تستخلص من سيرة إبراهام لنكولن فى حياته الشخصية أو حياته العمومية سواء تعلقت هذه العبرة بأطوار العظماء أو بأطوار الأمم فى نشأتها ، أو بأطوار السلم والحرب ، أو بمجانب الأخلاق ونقائض الآراء .

فقد يستغنى القارئ بسيرة مستوفاة لإبراهام لنكولن عن سير مئات من العظماء ومئات من الحوادث ، ولا يفوته شىء ذو بال .

وهنا موضع الصعوبة فى استيفاء كتاب عربى لهذه السيرة الجامعة ، وقد كانت صعوبة قائمة أمام كل مؤلف تعرض لهذه السيرة من الغربيين فضلا عن الشرقيين .

ويستطيع القارئ أن يعرف لنكولن معرفة صحيحة من كتاب الأستاذ محمود الخفيف ، لأنه يعرفه كما كان عظيما غاية فى البساطة ، بسيطاً غاية فى العظمة ، أميناً فى السياسة ، سياسياً فى الأمانة ، فكها يضحك الثكالى ، وحزيناً لا يفارقه حزنه مدى الحياة ، كريماً فى الصداقة والخصومة : يقف جلسات الوزارة ليستقبل فلاحاً صديقاً من رفقة صباه ، ويقهر خصومه كل القهر فلا ينتقم منهم ولا يفكر فى إذلالهم ، بل يعرف لهم حقهم ويصون عليهم كرامتهم ، ويسعى فى ذلك كأنه يسعى فى مكافأة ولى من أوليائه يدينه بالحب والوفاء .

تلك صفات لهذا الرجل العظيم تعرفها من هذا الكتاب ، ولكنك مع هذا لا تحيط بكل شىء ولا تعرف كل شىء ، بل تعرف مالا بد منه ويبقى من وراء هذا التعريف الضرورى مجال واسع للمزيد .

ومن المباحث التى تجاوزها الكتاب ، ما يساعد القارئ كثيراً على تعليل هذه الصورة الصادقة التى تتجلى له من سيرة هذا الزعيم العجيب .

فليس فى الكتاب تعريف كاف بأسلاف لنكولن من جانب أبيه وأمه ، وليس فيه إلمام كاف بسلسلة المصادفات المتوالية التى ساقته إلى رئاسة الجمهورية ، وليس فيه تعليق على مقتله ، ولا عن المتآمرين عليه ، يشرح هذه الجريمة شرحاً يناسب مكانها فى تاريخ الإجرام عامة وفى تاريخ الولايات المتحدة على التخصيص .

ولا تتم العبرة من تاريخ لنكولن إذا لم تكن نشأته وارتقاؤه إلى رئاسة الجمهورية ، وحقائق مصرعه موضع اهتمام خاص يفوق كل اهتمام بغيرها من الموضوعات .

فقد كان لنكولن مديناً بتعليمه لأمه ، ولولا هذه العناية من أمه لعاش ومات فلاحاً لا يسمع أحد باسمه فى غير بلده الذى يعيش فيه .

وقد كانت هذه العناية وراثة من أعجب الوراثات ، لأن أمه كانت من سلالة غير شرعية لفتاة بلغ من رغبتها فى العلم — على خلاف عادة النساء والرجال فى زمانها ، أنها أقبلت على دروسها الخاصة فأحبت أستاذها واستسلمت له وتعرضت للمهانة فى سبيله .

وكان لنكولن يعلم هذا ويتحدث به على دأبه من الصدق والصراحة ، وكان يعزو إلى هذه السلالة كثيراً من خلائقه وميوله ، ولا سيما الميل إلى المعرفة والاستزادة منها ولو لم تكن من لوازم عمله ، كاقباله على تعلم الهندسة والفلك ودراسة شكسبير وبعض الآثار اليونانية ، وهو محام لا يحتاج إلى هذه المعلومات .

وقد كان من الجائز جداً الا يصل إلى رئاسة الجمهورية ، لأنه لم ينجح قط فى انتخاب أو ترشيح إلا كان للمصادفة فى اللحظة الأخيرة أكبر الأثر فى هذا النجاح .

وعمل المصادفة فى تواريخ العظماء يفتقر إلى توضيح هذه المواقف وتحليل أسبابها وملابساتها ، لأننا نرى فيها عمل العظيم وعمل البيئة فى توجيه أكبر الحوادث التى اشتغل بها التاريخ .

أما مقتله فلا يفهم على حقيقته من التاريخ الأمريكى إلا إذا عرف القاتل وعرفت دواعيه إلى اقتراف هذه الجريمة ، وجملة ما يقال عنه أنه ممثل فاشل أراد أن يعوض فشله فى أدواره المسرحية بهذا الدور من أدوار المغامرات المعهودة فى تاريخ البلاد الأمريكية ؛ ولولا عوارض شخصية فى طبيعة هذا المفتون لما وقع الحادث على الإطلاق .

***

والذى يبدو للوهلة الأولى من كتابى الأستاذ الخفيف أنه موفق فى تحقيق معلوماته وفى وزن أبطاله .

منارة الماضي :

٢ – زيارة لحصن الأكراد

أدب وحروب

للأستاذ أحمد رمزى بك

٢٢ – لفت حصن الأكراد أنظار رجال الآثار والعلماء من أواخر القرن الماضى ، وكتبوا الكثير عنه ، ولهم المطبوعات والرسوم التى تدل على عملهم المتواصل .

٢٣ – وكان آخر ما ظهر من عمل جدى إنشائى : هو عمل البعثة التى أقامت أكثر من عشر سنوات ابتداء من عام ١٩٢٧ وظهرت نتيجة أبحاثها فى المجموعة المساة Les Châteaux de Croisées التى طبعتها مصلحة الآثار الفرنسية تحت عنوان Le crac des eheva liers وهو كتاب من أعظم الكتب الأثرية تأليف Deschamps ويزيد من قيمة هذا العمل أن البعثة أعادت هذا الحصن إلى بعض رونقه القديم ، وأخذت فى هذا العمل سنوات عدة ، ولذا جاء عملها من الوجهتين : الأثرية والعلمية من الأعمال الخالدة .

٢٤ – وإنى إذ أشير إلى هذا أرجو أن أجد من السلطات المصرية والسورية اهتماماً يفوق هذا الاهتمام لإعادة قلاع القاهرة ودمشق وحلب إلى ما كانت عليه فى إبان سطوتها وعزها على نمط لا يقل فى قيمته العلمية والأثرية عما قامت به بعثة حصن الأكراد الفرنسية .

٢٥ – وأخذ على البعثة الفرنسية هدمها لقبور من ماتوا من المسلمين ودفنوا داخل الحصن ، ومنهم من كان يحكم هذا الحصن باسم مصر نائباً عن السلطة المصرية ، أذكر من ذلك تربة الأمير صارم الدين قايماز الظاهرى السعيدى أول نائب للسلطنة بعد الفتح ، توفى سنة ٦٧٣ ودفن بالحصن . وحقق مسيو Sobernheim الكتابة التى على شاهد القبر ورسمها ، وليس لهذه التربة أثر بعد الترميمات ، ولم يكن من حقوق البعثة أن تعبث برفات قائد مصرى كبير بعد أن رقدت بالحصن الذى افتتحته جنوده مئات السنين .

٢٦ – اعتاد الناس حينما يتحدثون عن أثر مثل حصن الأكراد أن يشيروا إلى الحروب الصليبية وأثرها ونتائجها وبعض حملاتها ، وموضع هذا الأثر فى تاريخ هذه الحروب : ولا شك فى أن هذه الطريقة واجبة الاتباع ، ولكنى سأخالف هذه القاعدة من بعض النواحى .

٢٧ – ذلك لأن أغلب حملات الحروب الصليبية قد أصبحت معروفة ومتداولة ، ولم يعد من المفيد إعادة الكثير مما قرأه الناس عنها : ثم قد يتسع البحث إلى مناطق تبعدنا عن الغاية التى رسمناها لأنفسنا وهى حصن الأكراد وزيارته .

٢٨ – ولذلك سنشير إلى المنطقة التى فيها حصن الأكراد وأثرها فى الحروب الصليبية ، ونأتى ببعض النتائج التى حصلنا عليها من أثر هذه الحروب فينا .

٢٩ – يفسر الأتاتورك مصطفى كمال رئيس الجمهورية السابق تاريخ الحروب الصليبية بأنها الهجوم المضاد الأول من

إلا أنه حين يحتاج إلى الميزان المشترك بين أبطال متعددين ، يضطرب فى الميزان بعض الاضطراب .

ومن أمثلة ذلك فى تاريخ لنكولن أن كلامه عن بطله صحيح ، وأن كلامه عن دوجلاس مزاحمه صحيح ؛ ولكنه إذا عرض الرجلين على « الميزان المشترك » لم يبلغ من الدقة ما يبلغه من وزن كل منهما على انفراد .

ومن أمثلته فى تاريخ أحمد عرابى أنه لم يحرر الميزان كل التحرير عند الحكم على عرابى ومن يعده مثلا ، أو عند الحكم على سائر النابهين الذين اشتركوا فى حوادث الثورة العرابية .

فقد يكون عشرات من الرجال فى الحادث الواحد مختلفين متنابذين ، ويكون لكل منهم حقه من الرأى ، وحقه من العذر وحقه من التعظيم .

ولكننا نلاحظ هذه الملاحظات العابرة وننتهى منها إلى تقدير لا شك فيه لكتابى المؤلف عن هذين الزعيمين ، وذلك أنهما على التحقيق مصدر لاغنى عنه للعلم بكلا الرجلين فى اللغة العربية ، وإن الصعوبة التى واجهت مؤلفهما الفاضل لا تغمط الجهد الكبير الذى توفر عليه ، فاستحق به ثناء الناقد وإقبال القارئ واستزادة المستزيد

عباس محمود العقاد

الدول المسيحية ضد الإسلام : لأن الفتوحات الإسلامية وانتصارات المسلمين أثارت بوقفتها هجوماً مضاداً Contere Aittaque فهو يرى أن حروب الصليبيين الأولى كادت تقتلع ملك المسلمين بأكمله ، وأن وقفة الحروب الصليبية في الامارات اللاتينية أوجد الحرب الثابتة في المراكز المحصنة ، والتي دامت حتى أتم المسلمون أهبتهم ، وجاءت هجماتهم التالية التي قذفت بالفرنج إلى الساحل : فكانت الرد على الهجوم المضاد المسيحي .

٣٠ — ففي فترة الهدوء والاستجمام بين المهجومين أنشأ الصليبيون خطاً من الحصون والقلاع ، يبدأ من خليج العقبة ويمر بالكرك والشوبك ، ويلتقي مع سلسلة الحصون التي تحمي أنطاكية ، وتنحدر مع جبال العلويين حتى جبل لبنان .

ففي منطقة الوسط تماماً يقع مثلث مكون من الحصون الثلاثة : في الشمال مصياف، وفي الجنوب حصن الأكراد ، وإلى الغرب صافيتا

٣١ — فهذا المثلث الواقع على منطقة جبلية يسيطر على عدة طرق حيوية بالنسبة لمقاطعة طرابلس الصليبية ، وعلى مناطق زراعية خصبة تجعل المحتلين لهذه القلاع لا يهتمون بغير قلاعهم وأملاكهم ، ويسهل عليهم الاتصال فيما بينهم بالنيران لتبادل المساعدة ، ولصد كل عدوان يأتي إليهم . ولذلك استمرت هذه البقعة شوكة في جنب المسلمين منذ أيام صلاح الدين ومن قبله إلى أيام الملك الظاهر بيبرس .

٣٢ — والحرب هي الحرب في كل الأزمان تتطور قواعدها وأساليبها ولا تتبدل أهدافها . فهدفها الأول : هو تحطيم قوة المقاومة لدى الخصم وتدميره .

ولاشك في أن الحملات الصليبية الأولى لم تصل إلى أغراضها ؛ فإن قوة المسلمين لم تحطم في يوم من الأيام — وإن الفترة بين دخولهم فلسطين وإخراج صلاح الدين لهم من القدس بعد معركة حطين كانت من فترات الثبات والتركز كما قال مصطفى كمال . وقد دامت ٩٠ عاماً — وكانت كل المعارك الصغيرة من قبيل الهجمات التعرضية التي يقوم بها جيش من وراء الاستحكامات ثم يعود إليها بعد إتمام غرضه .

٣٣ — هذه الاستحكامات الدائمة هي القلاع التي أشرنا إليها والتي تمكن صلاح الدين بعد هجومه العام من انتزاع أكثرها من أيدي الصليبيين ، ولكنه توفي قبل أن يتم العمل الذي بدأه لذلك وبقي حصن الأكراد لم يسلم إليه ، وعادت حالة الاستقرار والهدوء من وراء القلاع ، وإن كانت تغيرت عقلية ملوك الصليبيين فأصبحت مصر هدفاً لحملاتهم للقضاء عليها حتى يتم لهم تحطيم قوة المسلمين وتدميرها تدميراً تاماً .

٣٤ — وهناك حقيقة لا بد من إعلانها وهي تتلخص في إفلاس الخلافتين العباسية في بغداد والفاطمية في مصر في اتخاذ موقف يسمح لكل واحدة أو لكلتيهما معاً من البروز كقوة مجاهدة مكافحة تصلح لقيادة المسلمين في عراك يمثل الموت والحياة للعالم الإسلامي . فهذا الموقف السلبي انتهى بهما إلى النتيجة الطبيعية المحتمة وهي زوال الخلافة الفاطمية من الوجود وضعف الخلافة العباسية إلى أن صفيت على يد هولاكو .

٣٥ — والقارئ لأخبار الصليبيين عند نزولهم لدمياط وخصوصاً لأخبار نشاطهم وحماسهم عندما وصلت لهم أنباء استيلاء التتار على بغداد يخيل إليه أن قواد الصليبيين قد وثقوا من أن العالم الإسلامي قد زال من الوجود زوالها مع أن أثر الخلافة العباسية كان ضئيلا جداً في الحروب الصليبية لدرجة لا يصدقها العقل

٣٦ — والفضل الأكبر في صد الحروب الصليبية وإعداد أول هجوم إسلامي على معاقل الصليبيين في فلسطين هو لمصر تحت قيادة صلاح الدين الذي ورث هذا النشاط عن نور الدين الشهير .

وهذا ما أدركه كتاب الصليبيين ، وما شعر به قوادهم بعد وقت طويل، وما باح به الجنرال كاترو بقوله : إن مصر في مطالبتها بعودة الدستور والحياة النيابية في سوريا ولبنان إنما تريد أن تلعب الدور الذي لعبه من قبل صلاح الدين في شئون دمشق

٣٤ — والعمل الحاسم لآخر هجوم إسلامي كان لمصر تحت قيادة الملك الظاهر بيبرس هذا الهجوم العام الذي سقطت فيه انطاكية وحصون الشمال ، وأخيراً حصن الأكراد وغيره من حصون الوسط .

٤٨ — ولو أعقبت وفاة بيبرس فترة هدوء واستجمام لعادت الحروب الصليبية مرة أخرى ، ولكن قلاوون وابنه الأشرف كانا أسرع إلى مداومة الزحف واستغلال الموقف ، فلم يقف الهجوم الثالث حتى حقق ما كان يؤمله كل من صلاح الدين وبيبرس ، فسقطت طرابلس ثم عكا التي قال عنها الشاعر في مدح الأشرف خليل بن قلاوون :

صدمتها بجيوش لو صدمت بها ... صم الجبال أزالتها ولم تزل

(البقية في العدد القادم)

أحمد رمزي

بين بدر وأحد :

الفدائى الأول

للأستاذ عمر الخطيب

مد الليل جناحه وشمل الكون ظلام دامس ... وتحرك الجيش الصغير فى هدأة الليل وغمرة الظلام من المدينة يتقدمه القائد الأعظم (رسول الله) ومن ورائه أصحابه كالكواكب التلألئة حول البدر المنير ... ساروا وقد سبقهم الخيال إلى ماء (بدر) حيث يعسكر المشركون الذين تجمعوا ليحبطوا دين الله ويقتلوا رسول الله ويؤدبوا أصحابه (الصابئين) ... فاستحث القوم جيادهم وأسلسوا لها القياد ، وقلوبهم تخفق شوقاً للجهاد ، ونفوسهم ترقص طرباً بلقاء أعداء الله الذين آذوهم وأخرجوهم من ديارهم ... ولم يكن أحب المسلم إذ ذاك من خوض ساحات الشرف حيث يصول ويجول ويجندل الأقران ويصدع الشجعان ، وقد آلى على نفسه أن يستشهد فى سبيل العقيدة التى يؤمن بها ، والمبدأ الذى ملك عليه لبه ...

ولما كانوا (بعرق الظبية) استشار الرسول أصحابه ، فأدلى أبو بكر وعمر برأيهما ، وقام المقداد بن عمرو فقال : « يا رسول الله ، امض لما أراك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا معكما مقاتلون » !

وسكت الناس بعد أن استمعوا لمقالة المقداد ، فقال رسول الله : أشيروا على أيها الناس ، وكان يريد بكلمته الأنصار الذين أعطوه موثقاً أن يؤازروه وينصروه ويمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم ...

فقام صاحب رايتهم (سعد بن معاذ) وقال : لكأنك تريدنا يارسول الله ؟ قال : أجل ؛ فقال سعد : « لقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا ... على السمع والطاعة ، فامض لما أردت فنحن معك ... فوالذى بعثك لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك وما تخلف منا رجل واحد . فتهلل وجه الرسول واطمأنت نفسه ، ووثق من إخلاص الجند لقائدهم واستبسالهم فى سبيل دينهم

***

جاء (أنس بن النضر) ، وقد كان غائباً عن المدينة ، فغدا إلى المسجد ليؤدى الفريضة خلف رسول الله ويستمع إلى حديثه العذب الجيل ويجتمع مع إخوانه الصادقين ليتدارسوا القرآن ، ويتعاونوا على الخير ، ويفكروا فيما يرفع شأن دينهم ويحقق لهم أمانيهم ... وما إن دخل المسجد حتى ألفى نفسه وحيداً بين شيوخ كبار ، وصبية صغار ، يركعون ويسجدون ، ويضرعون ويبتهلون ، فراعه أن يجد المسجد على غير ما ألفه ، واستوضح من القوم الخبر فأنبؤوه بأن الرسول فى غزوة يقاتل المشركين ... فأفلت من يده ودمعت عينه ندماً على ما فاته من الجهاد مع رسول الله ، ورجع غائباً إلى بيته وفى قلبه أسى وفى صدره غصة وفى نفسه حسرة !

***

ورجع المسلمون من (بدر) ، وقد نصر الله حزبه وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده ، وقتلوا من قريش مقتلة عظيمة ، ونالوا منها مغانم كثيرة ، ومكن الله المسلمين من أعدائهم حتى صرعوا رؤوس الجاهلية وأقطاب الشرك ... عادوا وأكاليل النصر فوق هاماتهم يتقدمهم الرسول الكريم ، فاستقبلتهم المدينة جذلة فرحة ، وزغرد النساء ، وأنشد الصبيان ، والقلوب مفعمة بالعزة والفرح ... وجاء (كعب بن مالك) شاعر الرسول ينشد :

عجيب لأمر الله والله قادر ... على ما أراد ليس لله قاهر
قضى يوم بدر أن نلاقى معشراً ... بغوا وسبيل البغى بالناس جائر
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم ... من الناس حتى جمعهم متكاثر
وفينا رسول الله والأوس حوله ... له معقل منهم عزيز وناصر
فلما لقيناهم وكل مجاهد ... لأصحابه مستبسل النفس صابر
شهدنا بأن الله لا رب غيره ... وأن رسول الله بالحق ظاهر
وقد عريت بيض خفاف كأنها ... مقابيس يزهيها لعينيك شاهر(١)
بهن أبدنا جمعهم فتبددوا ... وكان يلاقى الحين من هو فاجر
فكب أبوجهل صريعاً لوجهه ... وعتبة قد غادرنه وهو عاثر
لأمر أراد الله أن يهلكوا به ... وليس لأمر حمه الله زاجر(٢)

(١) مقابيس : جمع مقباس وهو شعلة النار
(٢) حمه الله : قضاه وأراده .

وما إن استقر بالرسول المقام ووزع الغنائم على الجنود وأعطى كل ذى حق حقه حتى جاءه (أنس بن النضر) والدموع تذرف من عينيه والأسى يعقد لسانه والحسرة تلوح من أسارير جبينه ... جلس أمام الرسول صلى الله عليه وسلم ليعتذر عما صنع ويعطيه عهداً وموثقاً على أن يكون الجندى الأمين و (الفدائى) الصادق إذا ما حارب الرسول المشركين مرة أخرى ...

قال: «يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين. لئن الله أشهدنى قتال المشركين ... ليرين الله ما أصنع ...

* * *

رجعت قريش إلى مكة تبكى قتلاها وناح النساء عليهم شهراً كاملاً بعد أن جززن رؤوسهن .. رجعوا وقد تركت (بدر) فى نفوسهم أثراً عميقاً حز فى قلوبهم وحفزهم إلى العمل على الأخذ بالثأر ولم الشمث وجمع الشتات والاستعداد لمركة أخرى ينتقمون فيها لما أصاب سادانهم يوم بدر ويمحون عار الهزيمة الذى لحقهم وكاد يودى بمكانتهم بين العرب وقد أدركوا أنهم إن لم يأخذوا على يد هؤلاء المسلمين ويقصموا عروتهم ويضعفوا قوتهم فسيقضى على قريش بالذلة والضعة بعد العزة والمنعة.

وعزموا على القتال وحشدوا الجموع وجهزوا الجيش والتقوا مع المسلمين جانب (أحد) وكان المسلمون إذ ذاك قلة وقد باغتهم العدو وأصبح قريباً من ديارهم.. وكان اليوم يوم جمعة، فصلى الرسول بالناس وأخبرهم بأن النصر لهم ما صبروا، وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم؛ ولبس لأمة الحرب وتقلد السيف وتقدم بالمسلمين نحو (أحد) وأمر بعضاً من أصحابه أن يرابطوا فى أعلى الجبل وأن يرشقوا المشركين بالسهام، وأوصاهم بأن لا يتركوا مكانهم حتى ولو ظهر المسلمون على أعدائهم ... ودقت الساعة وابتدأت المركة فكان النصر فيها بادىء ذى بدء حليف المسلمين إذ حملوا على أعدائهم حملات صادقة زعزعتهم وقذفت فى قلوبهم الرعب وأدركوا أنهم إزاء قوم ذوى بأس شديد يكرهون الحياة ويطلبون الموت نصرة للعقيدة ودفاعاً عن المبدأ .. فتراجعوا وفروا منهزمين .. ولما رأى (النابلة) أن العدو قد انهزم وترك وراءه الأموال والمتاع والسلاح نسوا أمر رسول الله فتركوا أماكنهم وأسرعوا لينالوا ما بقى من الغنائم ... وهنا اغتنم الأعداء الفرصة فكروا عليهم من خلفهم وأخذوا مواقعهم وأشرفوا عليهم وشرعوا يرمونهم بالنبال، وجعل الفرسان يحملون عليهم بالسيوف حتى رجحت كفة الأعداء وكاد يقضى على المسلمين ...

* * *

رأى (أنس بن النضر) ما أصاب المسلمين وكيف أن الله قد أخذهم ببعض ما كسبوا، وذكر العهد الذى قطعه لرسول الله على نفسه، وثارت فى نفسه عزة الإسلام وطفرت الدمعة من عينيه حزناً على ما أصاب المسلمين فرفع يديه إلى السماء وقال: «اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع هؤلاء (يعنى أصحابه) وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء (يعنى المشركين)» ثم امتطى صهوة جواده واستل سيفه وشرع رمحه وتقدم نحو صفوف الكفار فاستقبله (سعد بن معاذ) فقال له أنس (يا سعد بن معاذ! ... واهاً لريح الجنة! إنى لأجد ريحها ورب النضر عند هذا الجبل) وألفى أبا بكر وعمر وقد انتحيا جانب الجبل وألقيا بأيديهما فقال: ما يجلسكم! ... قالوا: قتل رسول الله[1]، قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه) ثم ألقى بنفسه فى أتون المركة واستقبل الموت استقبالا رهيباً لا عهد للناس بمثله وقد وهب روحه (فداء) للاسلام الذى آمن به والرسول الذى اتبعه.

* * *

انجلى غبار المركة وهدأ صليل السيوف ورجعت الجيوش أدراجها وبقى من المسلمين من يلم القتلى ويحمل الجرحى ... وافتقد المسلمون (أنس بن النضر) فلم يجدوه بين الجرحى أو القتلى فاشتد حزنهم عليه وعظم مصابهم به وأيقنوا بأنه قد أصبح أسيراً فى يد المشركين يسومونه سوء العذاب وينتقمون منه شر انتقام؛ وبعد قليل جاءت أخته (الربيع) لترى أخاها فألفت المسلمين حيارى لا يعرفون من أمره شيئاً، وأخبروها بأنهم لم يجدوه بين القتلى أو الجرحى، فأنعمت النظر فى وجوههم التى مثل بها المشركون فلم تجد بين هذه الوجوه التى شوهها الأعداء ما يدل على أن أخاها منهم، وكادت تقطع بما قطع به القوم لولا أن وقع بصرها عفواً على (بنانه) وكان جميل البنان فعرفته بها وأيقنت أنه (أنس)

(١) وكان المشركون قد أذاعوا هذا بين المسلمين ليفرقوا جمعهم.

كم بيننا من الكتاب ؟

للأستاذ عبد المنعم الصاوي

من الكاتب ؟ ...

إذا كان كل من يحمل قلماً يستطيع أن يخط به كلاما يمكن أن يقرأ ، ويؤدي إلى معنى من المعاني ، أيا كان هذا المعنى .

إذا كان هذا يسمى كاتباً ، إذن لجاز لنا أن نسمى أطفال المدارس الابتدائية كتاباً ! !

وإذا كان الكاتب هو ذلك الذي يستطيع أن يملأ عدة أعمدة من صحيفة أو مجلة أو كتاب ، في أي وقت يشاء ، أو في أي وقت يطلب إليه أن يكتب ...

إذا كان هذا هو الكاتب ، إذن لأخرجنا الكتابة عن نطاقها الفني ، وحدودها المتسامية ، وجعلناها أقرب إلى الصناعة منها إلى الفن الجميل المتسامي ! !

فمن إذن الكاتب ؟ ... من هو ؟

هو الذي يحمل قلماً ، وفكرة ، وأمانة ... فأما القلم فوسيلة ، وأما الفكرة فنهج ، وأما الأمانة فهي الهدف .

وليس القلم هو ذلك الشيء الصغير المتواضع الذي يستطيع أي إنسان أن يملكه ، ما دام يستطيع أن يدفع ثمنه الزهيد الصغير ... وإنما القلم معنى من المعاني الكامنة في النفس ، قبل أن تكون كامنة في الجيب ، أو في محال بيع الأقلام بمختلف أنواعها . .

هذا المعنى الكامن في النفس ، يستمد عناصره ، ووجوده ، وكيانه كله ... من الدم ، والألم ، والقلب معاً .

وليست الفكرة ، هي أن تدرس كتاباً ، أو عدة كتب .. أو أن تنتهي من دراسة ، ولو كانت جامعية .

لا ، ليست هذه هي الفكرة ، وإنما هي قبل كل شيء فلسفة تتخذها بعد أن تكون قراءات الزمن في الكتب وفي الحياة ، وتجارب السنوات وشدائد الأيام ، واستقصاء المعارف والحقائق الكونية الراسخة في طبيعة البشر . . بعد أن تكون كل هذه العناصر قد تفاعلت في نفس إنسانية ذواقة ، متفتحة ، مشرقة ، لماحة ، بارعة ، فاستقرت أخيراً فيها حقيقة واحدة ، تكون منهجاً واحداً ، يتخذه الكاتب فلسفة في الحياة .

وليست الأمانة هي أن تحمل رسالة معينة وتسعى إلى تحقيقها بمختلف الوسائل .. ليست هذه هي الأمانة ... وإنما هي أسمى من هذا بكثير .

هي أمانة الكاتب لقلمه المستمد من دمه وعرقه وآلامه وقلبه ... أمانته تجاه هذا القلم ، فإذا هذا القلم أقدس ما يملك ، لا يستبيح لنفسه أن يتجنى عليه باستعماله استعمالا غير مشروع ، أو استعمالا يجاوز الحق ، ولو في واحد من مائة ، فإن مجاوزة الحق تتساوى : واحداً في المائة ، ومائة في المائة .

وهي أمانة الكاتب تجاه منهجه الذي كونته الدراسات والقراءات والتجارب والدموع ... لا يتصرف في هذه الفكرة إلا في حدود تتسق معها ولا تنبو عنها .. ولا تتنافر أو تتناحر مع فلسفة الكاتب في حياته .

وهي أمانة الكاتب تجاه مجتمعه الذي يعيش فيه ... أمانته تجاه العقول والأفكار التي تتناول إنتاجه وتتأثر به ، وتحذو حذوه ...

وهي أمانة الكاتب تجاه التاريخ الذي يتناوله ، ويسجل عليه ، ما أفاد ، وما أضر ، ويضمه في القائمة البيضاء ، أو ينخفض به إلى مستوى الذين لا يرتفعون عن القائمة السوداء .

إذا توفرت هذه العناصر كلها في شخص فهو الكاتب ،

فأكبت عليه وهي تبكي ووقف المسلمون إزاءه يترحمون عليه ويسألون الله له الجنة .

* * *

يقول أنس بن مالك (فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون) .

ويقول (كنا نرى أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه من المؤمنين « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ؛ فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا)(١) .

(المعادي) عمر الخطيب
(في الفيحاء)

(١) روى حديث أنس الشيخان البخاري ومسلم .

وإلا لم يكن كاتباً ، وأصبح من الجناية على المجتمع وعلى الأفكار وعلى الأخلاق ، وعلى مستقبل الجيل أن يعد هذا الشخص كاتباً ...

بل أصبح من الجناية فعلا ، أن تفتح لأمثال هذا الإنسان المتجنى صفحات الصحف ، وأنهار المجلات ، وأبواب دور النشر .

والسؤال الآن هو : كم كاتباً فى مصر ؟

فى مصر سبع صحف يومية تصدر كل صباح ، وثلاث تصدر كل مساء ، عدا المجلات الأسبوعية التى لا يدركها الحصر ، غير المجلات الشهرية ، والنشرات الكثيرة العديدة .

وفى كل صحيفة من هذه الصحف ، مقال واحد على الأقل ، أما فى المجلات فكل منها تحوى عدة مقالات .

ولو أننا استعرنا الطريقة الأمريكية فى الأحصاء ، لأمكننا أن نقول إن القراء المصريين يواجهون كل يوم بحوالى عشر مقالات وقصص لعشرة كتاب ...

ومعنى هذا أن هناك سبعين قلماً تسود هذه الصفحات البيض ، وتطلع بها على القراء ! !

كم مقالة من هذه المقالات ، وكم قلماً من هذه الأقلام ، يستحق أن يعنى به عقل واحد ، أو تفكير واحد ، أو قارىء واحد ؟ . .

وكم من هؤلاء الكتاب ، لهم أقلام ، وأفكار ، وأمانات ؟

هل هم هؤلاء الحزبيون الذين لا يمسكون أقلامهم إلا ليصفوا وجه كبير بأنه أقرب إلى وجوه الملائكة طهراً ··· ويصفوا ذاك الكبير بأنه مقلوب السحنة يحاكى الشياطين !!

أم هم أولئك الذين يتعرضون لخفايا السياسة ، دون أى علم بعلم السياسة أو فن السياسة أو خفايا السياسة ··· ويتبجحون فاذا هم يوجهون ، ويرسمون الخطوط وينقدون ، بل ويكيلون اتهامات لا حصر لها ، زاعمين أن لهم مكان القيادة بين الساسة والزعماء ! !

أم هم هؤلاء الذين يتناولون حقائق الفن بأقلام هزلت وضعفت حتى لا تكاد ترى ولا تبصر ، فاذا الكلام عن الفنون كله وصف لعيون هذه الممثلة أو تلك ، أو صيحات هذا الممثل أو ذاك ، أو هزات بطن هذه الراقصة أو تلك !!

أم هم أولئك الذين ينتجون ألوان الأدب من شعر وقصة ومسرحية ، دون دراية بفن ولا علم ··· ودون أن تتكون لديهم ملكة الخلق والانتاج ، فإذا إنتاجهم كله وصف سخيف ، وحوار ممل ، وحوادث تهدف إلى استغلال أرخص العواطف وأحط النزعات !!

أين هم إذن ··· على صفحات الصحف والمجلات ؟ .

لو استطعنا أن نجد واحداً أو اثنين أو ثلاثة ··· فمن يكون بقية السبعين ؟

هل هم كتاب ؟

لست أجيب ، وإنما أترك الإجابة لقراء هؤلاء المساكين ··· بقية الكتب ··· ودور النشر التى أصبحت مفتوحة الأبواب لكل طارق .

كم من هذه الكتب يمكن أن يكون ذا فائدة أو أثر للقراء ... ؟

وكم من كتابها يصح أن يعدوا بين الكتاب ؟

إننا لحسن الحظ نجد أن عدد قراء الكتب ، المنكوبين بما فيها قليل ، ولهذا يهون الشر .

ما سبب هذا الوضع الغريب المخجل الشاذ ؟

وماذا يكون علاج هذه الحالة العجيبة ؟

وكيف يمكن أن تتعدل هذه الأوضاع الغريبة ؟

نترك هذا الآن ... إلى عودة .

عبد المنعم الصاوى

الأستاذ بقسم الصحافة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة

من تاريخ الطب الاسلامى

لصاحب السعادة الدكتور قاسم غنى
سفير إيران بمصر

— ٤ —

ذكرنا فى حديثنا السابق مجملا عن طب العرب فى الجاهلية ، ونبذة عن مصادر الطب الإسلامى وتأثير علوم اليونان فيه ، وتحدثنا عن كيفية نقل علوم اليونان وسائر الأمم إلى العربية ، وذكرنا أن المسلمين بدأوا ترجمة العلوم منذ القرن الأول الهجرى أى من بدء تعرفهم على الأمم الأخرى واتصالهم بها ، وقلنا إن هذه التراجم قد تحسنت بالتدريج واتسعت دائرتها حتى بلغت ذروتها فى زمن المأمون ، وكان للايرانيين حينذاك نفوذ كبير فى المجتمع الإسلامى ، أى عندما كانت النهضة العلمية الإسلامية فى أوجها ، وإن عدداً كبيراً من مترجمى هذا العصر قام بإصلاح التراجم السابقة .

وفى حديثنا اليوم سنتكلم بإيجاز عن هذا العصر ثم نتحدث عن ظهور كبار الأطباء المسلمين من أصحاب الرأى والنظر وعن مطالعاتهم ودراساتهم فى الأمراض والعلل وعلاجها ، وفى مطالعاتهم عن أحوال المريض بجانب سريره ، ونذكر نبذة عن البيمارستانات عند المسلمين .

كان المأمون مهتمّا بهذا الأمر لدرجة أنه كان يبعث الهدايا الثمينة لملوك الروم ويسألهم مقابل ذلك الإذن فى إنفاذ بعض المختار من كتب الفلسفة والعلوم القديمة المخزونة المدخرة لديهم إليه ، وكان من جملة شروط الصلح بين الخلافة الإسلامية وامبراطورية روما الشرقية ، أن يأذن امبراطور الروم للمسلمين بشراء الكتب العلمية اليونانية من البلاد التابعة له ، وكانت الكتب التى تصل إلى المأمون خير الهدايا التى يبعث بها إليه الملوك .

يقول ويتينجتون wittington فى مؤلفه عن تاريخ الطب :

« إن فتوح المسلمين العلمية ليست بأقل أهمية من فتوحهم للبلاد وغزوهم لها » (١)

(١) Browne , Arabian Midicine

وقد اقتدى بالمأمون كثير من السراة الأغنياء من أهل الفضل والذوق وبذلوا جهوداً كبيرة فى ترجمة الكتب العلمية ونقلها إلى العربية .

وكان من نتائج هذا الاهتمام والتشجيع أن ظهر عدد كبير من مهرة النقلة فى ذلك العصر .

يذكر المؤرخون أن المأمون كان يعطى حنين بن اسحق العبادى ما يعادل وزن الكتب التى يقوم بنقلها إلى العربية ذهباً

وكان يشتغل فى دار الترجمة التى كان يرأسها حنين أكثر من تسعين مترجماً بنقل الكتب ، ومن مشاهيرهم ابن أخته حبيش الأعسم ، وعيسى بن على ، وعلى بن يحيى ، وأيوب الأبرش ، وحجاج بن مطران .

وبفضل جهود هؤلاء وعلو هممهم وبصرف الأموال الكثيرة وتحرى الدقة المتناهية نقلت إلى العربية كتب كثيرة نفيسة حقاً نجد فى كثير من كتب التاريخ ، ولا سيما فى كتاب الفهرست لابن النديم ، أسماءها وعناوينها بالتفصيل . غير أن كثيراً من هذه الكتب قد ضاع بسبب ما أصاب القسم الأكبر من البلاد الإسلامية فى القرن السابع للهجرة من الخسائر نتيجة لحملة المغول عليها . وليس لدينا الآن من آلاف الكتب غير أسمائها ؛ وربما كان هناك كتب كثيرة ضاعت وضاعت معها أسماؤها أيضاً

وينبغى ألا يغيب عن بالنا أن شيوع عقيدة الأشاعرة الجامدة الشديدة التحفظ ، وتغلبها على طريقة المعتزلة الحرة فى البحث العلمى والدينى ، وعوامل كثيرة أخرى كانت قد أثرت فى النهضة العلمية الإسلامية فحدّت من تقدمها قبل حملة المغول ، إلا أن هذه النهضة العلمية كانت لا تزال بعد على شيء من القوة ، وكان مقام العلم والأدب لا يزال شامخاً إلى أن جاءت حملة المغول كالسيل الجارف فأصابتها بصدمة قوية فلم تقم لها بعد ذلك قائمة .

إلا أن حملة المغول هذه لم تصب العلوم الطبية بما أصابت به غيرها من العلوم من ضرر ، لأن أفراد قبائل المغول على رغم بربريتها كانوا يهتمون بصحتهم وسلامة أبدانهم ، لذلك فقد حفظوا كتب الطب من الاضمحلال والضياع ، كما أن حبهم الشديد للشهرة وخلود الذكر كان من الأسباب التى صانت كتب التاريخ من الضياع والفناء .

إن هذه العاطفة أعنى حبهم للشهرة وخلود الذكر لم تصن كتب التاريخ من الضياع فحسب ، بل كانت سبباً لتأليف كتب

أخرى نفيسة فى هذا الباب ، مثل تاريخ جهانكشاى للجوينى ، وجامع التواريخ لرشيد الدين بن فضل الله الحمدانى ، وتاريخ الوصاف لفضل الله الشيرازى ، وتاريخ كزيده لحمد الله المستوفى القزوينى ، وهى كلها معتبرة من الآثار والمؤلفات التاريخية الخالدة

والخلاصة أن أكثر المؤلفات التى نقلت فى عهد المأمون إلى العربية كانت تراجم متقنة تدل على دقة المترجمين وحسن قريحتهم ، وأن تبويب الكتب المترجمة إلى فصول ومقالات وأبواب مع ذكر المراجع والمصادر التى نقلت عنها التراجم تدل على ذوقهم السليم .

وبعد أن تعرف المسلمون عن طريق هذه التراجم على مصادر الطب الأصلية ، وبعد أن عم البحث العلمى وانشئت البيمارستانات والمعاهد العلمية وتكونت حلقات الدرس — ولهذا بحث مهم خاص ليس الآن محله — بدأ دور استقلال الأطباء المسلمين فى بحثهم وتأليفهم . وفى هذا العهد الجديد شرع هؤلاء بتدوين ما فهموه من التراجم فى مؤلفات خاصة حسب ذوقهم الخاص ، وأضافوا إلى ذلك كله خلاصة مطالعاتهم وتجاربهم الشخصية فكان من نتاج ذلك كتب مستقلة فى الطب للمؤلفين المسلمين .

وكان لمسلمى إيران خدمات مهمة فى هذا الباب أيضا لسابقتهم وماضيهم الطويل فى الطب منذ عهد الساسانيين بفضل المدارس الطبية العظيمة التى كانت فى إيران ومنها مدرسة جنديسابور . لذلك فإن كثيراً من الأطباء ذوى الرأى والنظر والأساتذة الكبار والمؤلفين المشهورين كانوا من الإيرانيين ولا سيما فى القسم الشرقى من البلاد الإسلامية .

أما الطب فى المغرب والأندلس ، فإن له بحثاً خاصاً مستقلا ؛ والكلام فى أحوال فلاسفة تلك البلاد وأطبائها كابن رشد وابن زهر وخلف بن العباس الزهراوى الشهير بجراح العرب وابن جلجل وابن وافد واسحق بن عمران وأحمد بن الجزار القيروانى وأضرابهم ، يحتاج لبحث طويل فى عدة محاضرات ؛ ولا سيما الكلام عن أثرهم فى البلاد المجاورة لأسبانيا والطلبة الذين وفدوا إلى الأندلس من سائر بلاد أوروبا للدرس والتحصيل ، والكتب العربية التى نقلوها إلى اللاتينية والعبرية وغيرهما — وهذه كلها أمور ذات شأن تقتضينا أن ندرسها دراسة عميقة ، ونخصها بمحاضرة أخرى إن سمح الوقت بذلك .

كان أكبر هَمّ معظم العرب فى العصور الإسلامية الأولى هو درس اللغة العربية وعلوم القرآن والشريعة ، ولم يكونوا ليهتموا كثيراً بسائر العلوم .

يقول جولد زيهير Gold Ziher المستشرق المعروف وهو من أكبر المستشرقين تضلعاً فى اللغة العربية ، وله اطلاع واسع على الفقه الإسلامى — إن عدد علماء العرب حتى فى علوم القرآن والشريعة كالتفسير والحديث والفقه كان أقل من عدد العلماء من غير العرب فى هذه العلوم أيضاً .

ومن الأمور التى استرعت نظر الأستاذ ادوارد براون فأشار إليها فى مؤلفه (الطب الإسلامى) إن الأطباء العرب ولا سيما المسلمين منهم لم يكونوا محل ثقة العرب واعتمادهم فى العلاج ؛ وقلما كانوا يرجعون إليهم فى ذلك . ويستشهد الأستاذ براون برواية ذكرها الجاحظ فى كتاب البخلاء عن طبيب مسلم من العرب اسمه أسد بن جانى أكسد ، فقال له قائل: « السنة وبئة والأمراض فاشية وأنت عالم ولك جد وخدمة ، ولك بيان ومعرفة ، فمن أين تأتى هذا الكساد ؟ قال أما واحدة فإنى عندهم مسلم ، وقد اعتقد القوم قبل أن أتطبب ، بل قبل أن أخلق ، أن المسلمين لا يفلحون فى الطب . واسمى أسد ، وكان ينبغى أن يكون اسمى صليباً ومرايل ويوحنا وبيرا (ويقصد الأسماء اليونانية أو السريانية أو الآرامية) وكنيتى أبو الحارث ، وكان ينبغى أن تكون أبو عيسى وأبو زكريا وأبو إبراهيم (أى كنى اليهود أو النصارى) وعلى رداء قطن أبيض ، وكان ينبغى أن يكون رداء حرير أسود ؛ ولفظى لفظ عربى ، وكان ينبغى أن تكون لغتى لغة أهل جند يسابور (يقصد لسان أهل إيران) . والخلاصة أن معظم الأطباء الكبار من المسلمين فى عصر النهضة العلمية والاستقلال الفكرى فى الإسلام كانوا من الإيرانيين ، وكان أطباء هذه الحقبة من أصحاب الرأى والنظر ممن جازوا مرحلة التقليد والتسليم لآراء أسلافهم ؛ فإنهم كانوا يبذلون غاية الجهد ويعملون رأيهم فيميزون بين الصحيح والسقيم من الآراء ، ويضيفون إليها من عندهم الشيء الكثير ؛ وخير مثال لهؤلاء محمد بن زكريا الرازى الذى جمع فى مؤلفيه كتاب المنصورى وكتاب الحاوى كل المعارف الطبية التى كانت موجودة فى زمنه من مؤلفات من سبقه من الأطباء من يونانية وغير يونانية ، ونقدها نقداً علمياً

يدل على علو كعبه وطول باعه وإحاطته التامة ، وزاد عليهما مشاهداته وتجاربه الشخصية ؛ كما أنه ألف كتاباً فى الحصبة والجدرى ، ولم يكن أحد من الأطباء الذين سبقوه ، قد عرف أن هذين المرضين مرضان مستقلان . وله غير هذه الكتب رسائل خاصة عن تجاربه الشخصية ومطالعاته فى البيمارستانات ، وبجانب فراش المرضى ، ورسائل أخرى فى المبادئ الخلقية التى يجب على الطبيب مراعاتها والسير بموجبها بحكم الواجب ، وفى هذه الرسائل أيضاً تتجلى اختباراته الشخصية بوضوح تام .

ومن مؤلفات الرازى كتاب باسم شكوك الرازى على كلام جالينوس فاضل الأطباء فى الكتب التى نسبت إليه ؛ ولدى نسخة خطية منه يقول فى مقدمتها :

(إنى لأعلم أن كثيراً من الناس يستجهلونى فى تأليف هذا الكتاب ، وكثيراً منهم يلوموننى ويعنفوننى على مناقضة رجل مثل جالينوس فى جلاله ومعرفته وتقدمه فى جميع أجزاء الفلسفة ومكانه منها ، وأجد أنا لذلك مضضاً فى نفسى، إذ كنت قد بليت بمقابلة من هو أعظم الخلق على منة ، وأكثرهم لى منفعة ؛ به أهديت ، وإثره اقتفيت ، ومن بحره استقيت ، مما لا ينبغى أن يقابل به العبد سيده ، والتلميذ أستاذه ، والمنعم عليه ولى نعمته ، ويودى يشهد الله أن هذه الشكوك التى أنا ذاكرها فى هذا الكتاب ، لم تكن فى كتب هذا الرجل الخير الفاضل العظيم قدره ، الجليل خطره ، والعام نفعه ، الباقى فى الخير ذكره ، لكن صناعة الفلسفة لا تحتمل التسليم للرؤساء والقبول منهم ولا مساهلتهم ، وترك الاستقصاء عليهم ، ولا الفيلسوف يحب ذلك من تلاميذه والمتعلمين منه كما قد ذكر ذلك أيضاً جالينوس فى كتابه فى منافع الأعضاء حيث وبخ الذين يكلفون أتباعهم وأشياعهم القبول منهم بلا برهان . وكان أكثر ما عزانى وسهل على أن هذا الرجل الجليل لو كان حياً حاضراً لم يلمنى على تأليف هذا الكتاب ، ولم يثقل ذلك عليه إيثاراً منه للحق وحباً لتقصى المباحث . إلى أن يقول : « وأما من لامنى وجهلنى فى استخراج هذه الشكوك والكلام فيها فإنى لا أرتفع به ولا أعده فيلسوفاً إذ كان قد نبذ سنة الفلاسفة وراء ظهره ، وتمسك بسنة الرعاع من تقليد الرؤساء وترك الاعتراض عليهم .

هذا أرسطاطاليس يقول — اختلف الحق وفلاطن وكلاهما صديقان لنا ، إلا أن الحق أصدق لنا من فلاطن . وهو يقاومه ويناقضه من أجل آرائه ، فقد ناقض أرسطاطاليس فى أوضح أجزاء الفلسفة بعد الهندسة الذى هو المنطق يبين غلطه فى كثير من المواضع ، حتى أنه يتعجب ويقول : لست أدرى كيف ذهب على الحكيم هذا المعنى وهو فى غاية الوضوح !

وتذكرنا هذه المقدمة بمقدمة أخرى للشيخ الرئيس ابن سينا فى كتابه حكمة المشرقيين وفيها ينتقد فلسفة المشائين .

والذى يتبين من مطالعة هذه المقدمة أن تحولا فكرياً عظيما كان قد طرأ على ابن سينا فى أخريات أيام حياته نتيجة المطالعة والدرس ، إذ نراه يبدى آراءه دون أن يتقيد بفلسفة المشائين ، ويبينها حسب فلسفة اليونان ولو خالفت فلسفة المشائين ، أو باينت آراءه التى كان قد أبداها الشيخ نفسه حتى ذلك التاريخ .

وبما أن النمو العقلى والفكرى عند الحكماء والفلاسفة وتقدمهم فى هذا الباب يشبهان إلى حد كبير تقدم الأطباء المسلمين فى العلوم الطبية ، أعنى أن النسبة بين أطباء عصور النهضة وعهد ظهور التآليف المستقلة ، وبين مترجمى الكتب الطبية فى العصور الأولى من الإسلام هى نفس النسبة بين مترجمى المؤلفات الفلسفية فى العصور الأولى ومترجمى كتب الفلسفة فى العصور المتأخرة ، أرى أن أذكر لحضراتكم هنا هذه المقدمة القيمة .

(يتبع)

من مغمورى العلماء

للأستاذ محمد كرد على بك

ابن حبان — (بقية ما نشر فى العدد ٧٧٧)

من الحكايات التى ساقها ابن حبان قوله: سمعت إسحق بن أحمد القطان البغدادى بتستر يقول : كان لنا جار ببغداد كنا نسميه طبيب القراء ، كان يتفقد الصالحين ويتعاهدهم . فقال لى دخلت يوماً على أحمد بن حنبل ؛ فإذا هو مغموم مكروب . فقلت . مالك يا أبا عبد الله ؟ قال : خير . قلت : ومع الخير ؟ قال : امتحنت بتلك المحنة (القول بخلق القرآن) حتى ضُربتُ ثم عالجونى وبرأت ، إلا أنه بقى فى صلبى موضع يوجعنى هو أشد علىّ من ذلك الضرب . قال : قلت اكشف لى عن صلبك ، قال : فكشف لى فلم أر فيه إلا أثر الضرب فقط ؛ فقلت : ليس لى به معرفة ، ولكن سأستخبر عن هذا . قال : فخرجت من عنده حتى أتيت صاحب الحبس ، وكان بينى وبينه فضل معرفة . فقلت له : أدخل الحبس فى حاجة ؟ قال : ادخل . فدخلت وجمعت فتيانهم ، وكان معى دريهمات فرقتها عليهم ، وجعلت أحدثهم حتى أنسوا بى ؛ ثم قلت : من منكم ضُرب أكثر ؟ قال : فأخذوا يتفاخرون حتى اتفقوا على واحد منهم أنه أكثرهم ضرباً، وأشدهم صبراً . قال : فقلت له أسألك عن شىء ؟ قال : هات . فقلت : شيخ ضعيف ليس صناعته كصناعتكم ، ضرب على الجوع للقتل سياطاً يسيرة ؛ إلا أنه لم يمت وعالجوه وبرأ ؛ إلا أن موضعاً فى صلبه يوجعه وجعاً ليس له عليه صبر . قال : فضحك . فقلت : مالك ؟ قال : الذى عالجه كان حائكا . قلت : فما الحيلة ؟ قال : يُبطُّ صلبه ، وتؤخذ تلك القطعة ويرمى بها ، وإن تركت بلغت إلى فؤاده فقتلته . قال : فخرجت من الحبس ؛ فدخلت على أحمد ابن حنبل ، فوجدته على حالته ؛ فقصصت عليه القصة . قال : ومن يبطه ؟ قلت : أنا . قال : أوَ تفعل ؟ قلت : نعم . قال : فقام فدخل ثم خرج وبيده مخدتان ، وعلى كتفه فوطة ؛ فوضع إحداهما لى والأخرى له ؛ ثم قعد عليها ، وقال : استخر الله . فكشفت عن صلبه وقلت : أرنى موضع الوجع . قال : ضع إصبعك عليه ؛ فإنى أخبرك به . فوضعت إصبعى وقلت : هاهنا موضع الوجع قال : ههنا أحمد الله على العافيه . فقلت : ههنا ؟ قال : ها هنا أحمد الله على العافية . فقلت : هاهنا ؟ قال : ها هنا أسأل الله العافية . قال: فعلمت أنه موضع الوجع . قال: فوضعت المبضع عليه فلما أحس بحرارة المبضع وضع يده على رأسه وجعل يقول : اللهم اغفر للمعتصم حتى بططته . فأخذت القطعة الميتة ورميت بها ، وشددت العصابة عليه ، وهو لا يزيد على قوله : اللهم اغفر للمعتصم . قال : ثم هدأ وسكن ؛ ثم قال : كأنى كنت معلقاً فأحدرت . قلت : يا أباعبد الله إن الناس إذا امتحنوا محنة دعوا على من ظلمهم ، ورأيتك تدعو للمعتصم . قال : إنى فكرت فيما تقول ، وهو ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فكرهت أن آتى يوم القيامة وبينى وبين أحد من قرابته خصومة . هو منى فى حلّ .

ومن حكاياته أيضاً : أنبأنا محمد بن صالح الطبرى بالصيمرة ، حدثنا محمد بن عثمان العجلى قال : لما حدث شريك بحديث الأعمش عن سالم عن ثوبان أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : استقيموا لقريش ما استقاموا لكم ، فإذا خالفوكم فضعوا سيوفكم على عواتقكم فأبيدوا خضراءهم ؛ فإن لم تفعلوا فكونوا زراعين أشقياء . فسعى به إلى المهدى فبعث إلى شريك فأتاه فقال : حدثت بها ؟ قال : نعم. قال : عمن رويتها ؟ قلت : عن الأعمش. قال : ويلى عليه ! لو عرفت مكان قبره لأخرجته فأحرقته بالنار . قلت : إن كان لمأموناً على ما روى . قال : يا زنديق لأقتلنك . قلت : الزنديق من يشرب الخمر ويسفك الدم. قال : والله لأقتلنك. قلت : أو يكفنى الله . قال : فخرجنا من عنده فاستقبلنى الفضل بن الربيع فقال : ليس لك موضع تهرب إليه . قلت : بلى . قال : فانه أمر بقتلك . قال : فخرجت إلى جبل ، فخرجت يوماً أتجسس الخبر فأقبل ملاح من بغداد ، فاستقبله ملاح آخر من البصرة ؛ فسأله : ما الخبر ؟ قال : مات أمير المؤمنين . قلت يا ملاح قرب قرب .

الماوردى سنة ٤٥٠

إمام فى الفقه والأصول والتفسير ، بصير بالعربية ، كاتب من الطراز الأول ؛ نشأ فى البصرة ، وتولى القضاء فى بلدان كثيرة ، وكان شافعى المذهب ، وقيل إن فيه عبقة من الاعتزال . صنف

كتباً لم ينشر بالطبع منها غير « الأحكام السلطانية » و « أدب الدنيا والدين » و « أعلام النبوة » و « قانون الوزارة » ، ومن كتبه الضائعة « الحاوى » فى الفقه ، قيل لم يصنف مثله . وله تفسير القرآن الكريم ، والنكت والعيون ، والإقناع فى المذهب ، وغير ذلك ، وعمّر ستاً وثمانين سنة وسكن بغداد بأخرة .

هذا موجز ما ترجم له المترجمون ، وما أثر من كتبه غاية الإبداع فى تصنيفه ، تظهر فيها شخصيته ، وتتجلى تجاربه ومعرفته بأمور الدول ، وتاريخ الحركات الفكرية والسياسية فى الإسلام . تتمثل الماوردى وأنت تقرأ الأحكام السلطانية عالماً عصرياً قتل الحياة تجربة ، وما دوّن للناس إلا ما ينفعهم بإيجاز لا خلل فيه ، وهو من الكتب التى إذا قرأتها مرة ساقتك بدون تقصد منك إلى معاودة قراءتها ؛ بل لو قرأتها مرات شاقتك فتتصفحها مرة ومرة . وحقاً إن هذا السفر الممتع هو مرجع فريد فى فنه : كتاب فى جرم صغير ونفع غزير . ولو لم يكن له غيره من المصنفات لكفى أن يعدّ صاحبه من أعظم المؤلفين المجودين وأنت إذا حدقت النظر فى هذا الإبداع تراءى لك أن الماوردى لم يتقن من فنون العلم غير هذا العلم ، وأنه شغل بوضعه زمناً طويلاً فى حياته ، فقد جمع هذا العظيم إلى معرفته الكاملة بشرع الإسلام معرفة توازيها فى سياسة الناس ، وحسن القضاء بينهم ، وقيام الدول ونُظمها . ولقد أفاض فى الأحكام السلطانية فى الخلافة ، وتقليدها ، والوزارات وأنواعها ، والإمارات والولايات ، والقضاء وضروبه ، والمظالم والنقابات والجبايات من خراج وجزية وصدقات وحمى وأرفاق وإقطاعات ، وكلام على أنواع الدواوين ، وأحكام الجرائم والحسبة والمنكرات والمعروفات ، وغير ذلك مما له مساس بأحوال المجتمع ، وفيه مقنع لمن ادعوا أن المسلمين أيام عزهم كانوا يسيرون على غير قوانين مدونة . وما أشبه كتاب الأحكام السلطانية بالشريعة الإسلامية يصلح لكل جيل وكل قرن ، لا يمروه عتق ولا وهن . وأنت كلما أمعنت النظر فى صفحاته زدت حرمة لصاحبه ، وإعجاباً بما خطته أنامله على القرطاس ، ولا نعدو الحق إذا قررنا أن كتاب « أدب الدنيا والدين » هو أيضاً من أمتع ما كتب علماء الأخلاق والتربية ، مصادره الكتاب الكريم ، والسنة الصحيحة ، وأقوال الحكماء والبلغاء ، وفيه طائفة من الشعر البديع والنثر المنسجم ؛ لو درسه الطالب أجزاء عن المطولات ، وكان له مادة يستشهد بها مدى حياته .

وبعد فان الماوردى لا يعدّ من المكثرين جداً من التآليف ، ولكنه يحشر فى المجودين جداً فيه ؛ فهو نابغة عصره فى تطبيق مفاصل الشريعة ، واستبطان أسرارها ، أتى بجديد ما كان يعرفه الناس ، ولا اهتدت إليه القرائح قبله ، وأخذ من القديم كل ماينفع ويرفع ، وكان له من توليه القضاء درس حال البيئات الكثيرة ومن طول عمره معوان على تفهم ما قرأ وثقف ودرّس ، وتمثل ما روى وروى . وبتفرغ قلبه من هموم الحياة فرغ وقته لنشر أنوار علمه ؛ فأخذ بمجامع القلوب فى حياته ومماته ، وكان اعتداله وإخلاصه ما كف الألسن عنه حياً ، وخالف عرف أبناء جيله فى مسائل اجتهد فيها فتحملوه وما تبرموا به ، واكتفى من دنياه بما أعطته فكان خير معلم ومرشد .

ولقد روى فى أدب الدنيا والدين شيئاً دل على بعد غوره وفرط دهائه قال : وربما صنع ذا السفاهة من طلب العلم أن يصور فى نفسه حرفة أهله وتضايق الأمور مع الاشتغال به حتى يسمهم بالأدباء ، ويتوسمهم بالحرمان ؛ فإن رأى محبرة تطير منها ، وإن وجد كتاباً أعرض عنه ، وإن رأى متحلياً بالعلم هرب منه ، كأنه لم ير عالماً مقبلاً وجاهلاً مدبراً . ولقد رأيت من هذه الطبقة جماعة ذوى منازل وأصول ، كنت أخفى عنهم ما يصحبنى من محبرة وكتاب لئلا أكون عندهم مستثقلا وإن كان البعد عنهم مؤنساً ومصلحاً ، والقرب منهم موحشاً مفسداً .

وهاك مثالاً واحداً من إخلاصه فى قضائه وتحريه للحق : لما أمر الخليفة أن يزاد فى ألقاب جلال الدولة ابن بويه لقب « ملك الملوك » لم يُفتِ مع من أفتى بجواز ذلك ؛ مع أنه كان من خواص جلال الدولة ، فلما أفتى بالمنع انقطع عنه . فطلبه جلال الدولة ، فمضى إليه ، على وجل شديد ؛ فلما دخل قال له : أنا أتحقق أنك لو حابيت أحداً لحابيتنى لما بينى وبينك ، وما حملك إلا الدين ؛ فزاد بذلك محلك عندى .

وقال عن نفسه فى كتابه أدب الدنيا والدين : ومما أنذرك به من حالى أننى صنفت فى البيوع كتاباً جمعت فيه ما استطعت من كتب الناس ، وأجهدت فيه نفسى ، وكددت فيه خاطرى ، حتى إذا تهذب واستكمل ، وكدت أعجب به ، وتصورت أننى أشد الناس اضطلاعا بعلمه ؛ حضرنى وأنا فى مجلسى أعرابيان

فسألاني عن بيع عقداه في البادية على شروط تضمنت أربع مسائل لم أعرف لواحدة منهن جواباً ، فأطرقت مفكراً ، وبحالي وحالها معتبراً ؛ فقالا : ما عندك فيما سألناك جواب ... أنت زعيم هذه الجماعة ؛ فقلت : لا . فقالا : واهاً لك ، وانصرفا ثم أتيا من يتقدمه في العلم كثير من أصحابي ؛ فسألاه فأجابهما مسرعاً بما أقنعهما ، وانصرفا عنه راضيين بجوابه حامدين لعلمه . فبقيت مرتبكا ، وبحالتهما وحالي معتبراً ؛ وإني لعلى ما كنت عليه في تلك المسائل إلى وقتي . فكان ذلك زاجر نصيحة ونذير عظة تذلل بها قياد النفس ، وانخفض لها جناح العجب ؛ توفيقاً منحته ورشداً أوتيته . وحق على من ترك العجب بما يحسن أن يدع التكلف لما لا يحسن ، فقد نهى الناس عنهما واستعاذوا بالله منهما .

محمد كرد علي

نهاية شاعر

للأستاذ علي العماري

كانت ليلة الأربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة في السنة الثالثة والعشرين بعد الهجرة ليلة فاصلة بين عهدين من عهود الإسلام : عهد الأمن والسلامة والهدوء ، وعهد الغدر والعدوان والفتنة ؛ فقد تنفس صبحها عن حادث جليل ، وجناية مروعة اهتزت لها أركان الدولة العربية ، وأحدثت في الإسلام الحدث ، وأي نازلة أروع من قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؟ !

في هذه الليلة ولد لرجل من رجالات قريش طفل أسماه (عمر) وكناه (أبا الخطاب) . ذلك أمير العدل والحزم والحكمة ، وهذا أمير اللهو والغزل والشعر ، لذلك كان أهل التقوى إذا تذاكروا — فيما بعد — شئون هذه الليلة جرت على ألسنتهم هذه الكلمة (أي حق رفع ، وأي باطل وضع)[1] .

نشأ (أبو الخطاب) كما ينشأ لداته من فتيان قريش المترفين يسحب ذيول الصبا ، ويجري ملء عنانه في مراتع الهوى والجمال . غنى واسع ، وجاه عريض ، وعز باذخ ، وقد أعانه على ذلك وسامة محب ، وظرف يمشق ، ولسان ساحر ، وقلب شاعر ، وإنما تركه سراة قريش ، وأغضى عنه شيوخها ، يتمتع في مجالي شبابه ، ويفتن في ذكر فنونه وفتونه ، ويتتبع فتياتها ، ويشبب بهن (رعاية لأسرته ، وفخراً بشاعريته ، وترقباً لتوبته)[1] .

(١) الأغاني حـ ١ ص ٧١

وربما كانوا يرجون أن يرفع في الشعر قدرهم ، ويعلي فيه سناهم ، ولقد نالوا من ذلك ما أرادوا ، فإن العرب كانت تقر لقريش بالفضل في كل شيء إلا الشعر ، حتى نبغ ابن أبي ربيعة فأقرت لها بالشعر أيضاً .

وكأنما أغرته كل هذه الأسباب مجتمعة ، فاندفع لا يلوي على شيء ، وسدر في غوايته لا يبالي أحداً ، وكان عبثه لا يكاد يتعدى النساء ، فهو يواعدهن ويتحدث إليهن ويختدعهن ، ثم يودع ذلك كله في شعر قصصي رقيق ، وأسلوب لين عذب (وإن له لموقعاً في القلوب ، ومدخلا لطيفاً ، لو كان شعر يسحر لكان هو)[2] . (فلشعر ابن أبي ربيعة لوطة بالقلب ، وعلق بالنفس ، ودرك للحاجة ، وما عصى الله بشعر قط أكثر مما عصى بشعر ابن أبي ربيعة[3]) . وقد جمح به الصبا والغزل ، فاتخذ أيام الحج مواسم لصبواته ، ومشاعر البيت الحرام مرابع لهواه :

ليت ذا الدهر كان حتما علينا كل يومين حجة واعتمارا

وهكذا كان ينتظر هو وأترابه لأيام الحج :

تلبث حولا كاملا كله لا نلتقي إلا على منهج

في الحج إن حجت وماذا منى وأهله إن هي لم تحجج

ما منىً وما أهله إن لم يلق صاحبته ؟

ولم أر كالتجمير منظر ناظر ولا كليالي الحج أفلتن ذا هوى

وكم مالئ عينيه من شيء غيره إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

نعم كان شعره السحر ، يستميل به القلوب ، ويستنزل به المتأبي ، ويتأنس الشارد ، وينزل الأعصم من قنده ، وكأنما انفجر له — وحده — ينبوع الشعر الغزل ، فورد منه المنهل الصافي النمير . وليس هناك شك في أن سروات الناس ، بل وعامتهم أحسوا بالشر يتمثل في شعره ، ورأوا رءوس الشياطين تطل من قوافيه ، فخافوا على فتياتهم أن يتصباهن هذا العبث ، ومنعوا أن تدخل دفاتره البيوت ، أو يسمر به مع ربات الخدور ، وقالوا : « ما دخل على العواتق في خدورهن شيء أضر عليهن من شعر عمر بن أبي ربيعة » . وقال هشام بن عروة : « لا ترووا فتياتكم شعر عمر لا يتورطن في الزنا تورطاً » .

(١) تاريخ الأدب العربي للزيات ص ١٠٣

(٢) الأغاني ص ٧٨ (٣) زهر الآداب حـ ١ ص ٣٨٥

غير أن هذا الشاعر يتنصل من كل ما ينسبه إلى نفسه ، ويزعم أنه يقول وقلبه مطمئن بالإيمان ، ويذيع في الناس .

إني امرؤ مولع بالحسن أتبعه لا خطر لى منه إلا لذة النظر

وما نلت منها محرماً غير أننا كلانا من الثوب الورد لابس
نجيين نقضى اللهو في غير مأثم وإن رغمت الكاشحين المعاطس

ويسار بعض فتيان قريش، وقد تقدمت به السن فيقول له: يا ابن أخي قد سمعتني أقول في شعرى : قلت لها وقالت لى ، وكل مملوك لى حر إن كنت كشفت عن فرج حرام قط ، فيقول الفتى : قمت وأنا متشكك في يمينه فسألت عن رقيقه فقيل لى : أما في الحوك فله سبعون سوى غيرهم .

ويمرض فيجزع أخوه الحارث جزعاً شديداً ، فيقول له عمر : أحسبك إنما تجزع لما تظنه بي، والله ما أعلم أنى ركبت فاحشة قط

وهكذا يحاول أن يدفع عن نفسه ما وقر في أذهان الناس مما أخذوه من شعره ، فيصدقه قوم ، ويؤكدون عفته وطهارته ، فيذكر بعض الرواة أن عمر عاش ثمانين سنة فتك منها أربعين سنة ، ونسك أربعين سنة . ويروى صاحب الأغاني عن الزبير بن بكار قال : « لم يذهب على أحد من الرواة أن عمر كان عفيفاً ، يصف ويقف ، ويحوم ولا يرد » . ويكذبه آخرون ، ويجابهونه بهذا التكذيب ، ويعتمدون فيما يعتمدون على اعترافه على نفسه في بعض الأحايين ، وتشك طائفة ثالثة في مبلغ قوله من الصدق حتى معاصروه أنفسهم لا يطمئنون إلى شيء من هذا .

ولا شك أنه بذلت محاولات كثيرة لرده عن غوايته ، وصرفه عن حياة اللهو والعبث . ويبدو أن شيئاً منها لم يفلح ، وأن الأمر كان كما يقول عبد الملك بن مروان : « أما أن قريشاً تعلم أنك أطولها صبوة ، وأبطؤها توبة »(١)

وفي بعض الروايات أنه تاب على حدود الأربعين ، ونذر لئن قال بيتاً ليعتقن به رقبة ، ثم انصرف إلى بيته مهموماً مكتئباً ، وربما مكث على هذه التوبة أياماً ، لكن الحنين عاوده ، والشوق إلى الشعر استبد به ، فأطرق وفكر ، فأدركت جارية ما بنفسه من أسف على توبته فقالت له إن لك لأمراً ، فاندفع يقول شعراً ، فكان تسعة أبيات ، فأعتق تسعة من عبيده ، وفي هذا الشعر يقول :

طربت وكنت قد أقصرت حينا تقول وليدتى لما رأتنى
وهاج لك الهوى داء دفينا أراك اليوم قد أحدثت شوقاً
إذا ما شئت فارقت القرينا وكنت زعمت أنك ذو عزاء
كبعض زماننا إذ تعلمينا فقلت شكا إلى أخ محب
مشوق حين يلقى العاشقينا وذو القلب المصاب وإن تعزى

ولعل أخاه الحارث — وكان ديناً عفيفاً لم تلد أمة خيراً منه كما يقول عبد الملك — كان أكثر الناس وعظاً له ، وربما حاول غير مرة أن يكبح جماحه ، ويصرفه عن صويحباته ، وربما بذل في ذلك غاية وسعه ، وأفرغ له كل جهده ، ولكنه لم يفلح أيضاً ؛ وعاد يقول : « ما أرى عمر ينتفع بوعظنا » أغراه بالمال ، وبعث به إلى اليمن حيث أخواله ، رجاة أن يثوب إلى رشده ، ويقلع عن أباطيله إذا فارق هذه البسمات الوضاء ، وترك تلك الوجوه الصباح التي ألفها وألفته ، ولكن الحنين راجعه ، والشوق يعاوده ، إلى صاحبته الثريا فيقول :

هيهات من أمة الوهاب منزلنا إذا حللنا بسيف البحر من عدن
لا داركم دارنا يا وهب إن نزحت نواك عنا ولا أوطانكم وطنى
فاست أملك إلا أن أقول إذا ذكرت لا يبعد نك الله ياسكنى
بل ما نسيت ببطن الخيف موقفها وموقفى وكلانا ثم ذو شجن
وقولها للثريا يوم ذى خشب والدمع منها على الخدين ذو سنن
بالله قولى له في غير معتبة ماذا أردت بطول المكث في يمن
إن كنت حاولت دنيا أوظفرت بها فما أخذت بترك الحج من ثمن

وهكذا يعتذر بغير العذر ، ويتكئ على غير عصاه ، وإلا فما لهذا الفاتك والحج يتعلل به ، ويتباكى على فوته ؟ !!

ومهما يكن من أمره فإن طول نظرى فيما أحاط بأخريات حياته يقضى على أنه نسك ، ولكنه لم ينسك استجابة لوعظ واعظ ، ولا خضوعاً لإرادة مريد ، وإنما رأى الستين نقلت على كاهله ، والسن تخونته ، وغزلان الحجاز تنفر منه ، بعد أن انطفأت جمرة شبابه ، وخمد مشبوب عاطفته ، فماذا يصنع ؟ هربت منه اللذات ، وتنكرت له الصبابات ، فليمل إلى جنب الله ، وليستجب لداعى التوبة ، وهو يرى الموت على حبل ذراعه ، وينظر قبره قد حفر ، وإنها لفرصة قد انتهزها ، لما تولى عمر ابن عبد العزيز الخلافة بعث إليه فلما جاءه قال له : هيه :

(فلم أر كالتجمير منظر ناظر) وذكر له البيتين اللذين ذكرناهما آنفاً ، ثم قال : فإذا لم يفلت الناس منك في هذه الأيام ، فتى

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة .

يفلتون؟ أما والله لو اهتممت بأمر حجك لم تنظر إلى شيء غيرك؛ ثم أمر بنفيه، فقال: يا أمير المؤمنين أو خير من ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: إنما هو الله ألا أعود إلى مثل هذا الشعر، وأجدد توبة على يديك. قال: أو تفعل؟ قال: نعم. فعاهد الله على التوبة

والذين يؤكدون أن عمر تاب رهبة من خليفة المسلمين يجهلون كل الجهل طبائع النفوس إذا عمرت، فإن الرجل مهما أسرف على نفسه، فسيجد من تقدم سنه ما يوحى إليه بالإنابة إلى الله، ولاسيما إذا كان ماتصبو إليه نفسه غير ممكن، ويجهلون كذلك مكانة ابن أبي ربيعة في قريش، وأنه أرفع — لو أراد — من أن يخضع لتهديد خليفة. وكيف وهو الذي شبب ببنات الخلفاء وأخواتهم؟

ورواية أخرى تحدثنا أنه مد خطوه إلى أبعد من ذلك، فإنه عرض على الخليفة يغزو في البحر، وكأن الله أراد به الخير، فمات شهيداً. قال عبد الله ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: «فاز ابن أبي ربيعة بالدنيا والآخرة؛ غزا في البحر فأحرقوا سفينته فاحترق» (١)

على العماري

مبعوث الأزهر إلى المعهد العلمي بأم درمان

(١) البيان والتبيين ح ٣ ص ٧٧ : ط . الخطيب

اللقيـــطة

للأستاذ حسني كنعان

إن هـذه الوليدة التي أولدها «ترومان» بالأمس معترفاً بصراحة نسبها، وسماها أهلوها «دولة إسرائيل» ما كادت تتلقفها أيدي القابلات الآسيات حتى تلقفتها يد عزرائيل وخنقت في مهدها قبل أن تهبط الأرض وتتفتح عيناها للنور وتستنشق النسيم، حتى أن بعض أعضاء مجلس الأمن من المحبذين لهـا اضطروا إلى استبدال هذا الإسم تحت تأثير ممثل سورية العـلامة الداهية الأسـتاذ فارس بك الخوري، فأطلقوا عليها «السلطات اليهودية»؛ وبهذا التأثير وهذه الحملة الصادقة قضى على أحلام اليهود ودفنت آمالهم، وبات من المحقق أن يبحث لها مولدوها عن قبر بدلا من هـذا المهد الذهبي الذي كان ينتظرها طوال هذه السنين التي تمخضت بها. وهكذا شأن كل وليدة لقيطة غير صريحة النسب، فاعتراف بعض الدول الموالية لأهلها بها لم يفت في سواعد العرب المناضلين المكافحين عن عروبة الديار التي يراد إقامة المهد فيها، ولم يفل من عزائمهم ومضائهم. إن الأمة العربية جماء من أقصى حدود النيل إلى تهامة فنجد فاليمن فإلى القوطتين وشواطئ فينيقية فإلى مياه الرافدين والأردن كلها هبت هبة رجل واحد وبقلب واحد شاهرة الحسام في وجه هذه اللقيطة الباغية، وفي وجه كل من لف لفها أو والاها أو قال بقولها، ولن تتراجع عن تصميمها ما لم يكتب لهـا النصر — بإذن الله — أو الموت والإبادة — لا سمح الله ولا قدر — !

وليست الأمة العربية وحدها هي التي ستكون حائلا دون نموى وتقوى هذه اللقيطة الأفعى، بله جميع الأمم الشرقية التي تتاخم حدود أراضيها للبحر الأبيض المتوسط، ستكون عوناً للعرب على خنق اللقيطة وعدم السماح لها بالظهور والبقاء. وستقف بجانبها دول أوربية لها ضمائر تساند العرب في حقهم. وسوف لا تتكرر مأساة التصويت على التقسيم مرة ثانية، لأن الدول بدأت تتراءى لها مناورات البيت الأبيض والكرملين، وبدأت تنظر إلى القضية الفلسطينية العادلة بغير النظرة التي كانت تنظرها يوم عرضت على التقسيم والتصويت ...

حتى أن الشعب الأمريكي جله إن لم نقل كله ناقم على سياسة حكومته لتحيزها لجانب دون آخر، لأن الأوربيين والأمريكيين وإن كانوا لا يمتون إلى العرب بصـلة أو نسب، فإن بعضهم «عندهم ضمـائر» ... ودليلي على ذلك حادثة المستر كارلتون عميد الـكلية الأمريكية في الشهباء وقنصل أمريكا الفخري، والحديث الذي دار بينه وبين المحافظ الأستاذ عادل العظمة الذي جاء فيه أن اعتراف المستر ترومان بالدولة اليهودية «التي ولدت ميتة» لا يعبر عن وجهة نظر الشعب الأمريكي، وهو يعبر عن رأيه بمفرده ... وإن جميع الأمريكيين يعرفون مكر اليهـود وخداعهم ومقدرتهم على اشـتراء الضمائر والأصوات والتلاعب بالعواطف ببذل الأموال وبذل أشياء أخر.

ثم قال العميد: «إن الأغلبية في الشعب الأمريكي تشجب عمل ترومان وتمقته، وسيظهر أثر ذلك في الانتخابات الآتية،

حيث ينتظر أن يسقط فيها هذا الصهيونى الأول سقوطاً مريعاً ما بعده من سقوط ... »

فرد عليه المحافظ شاكراً له هذه العواطف الفياضة نحو العرب وقضيتهم العادلة . وقال فيما قاله : يحق للسوريين أن يدهشوا كل الدهشة لموقف الشعب الأمريكي النبيل الذى لم تمت فيه الضمائر ولم تبلغ منه الغايات ، فالسوريون قاطبة يقدرون مزايا الإخلاص والحرية والعدالة فى الشعب الأمريكي الذى لهم بينه جاليات ومؤسسات ، وما من أحد ينكر فضل الدنيا الجديدة على المدنية والحضارة . ولأمر ما صوت السوريون للأمريكيين مفضلهم على جميع أمم أوربا يوم عرض عليهم الانتداب عام ١٩٢٠ ، عندما أبصروا أن لا بد من انتداب دولة ما من الدول الحليفة عليهم »

وكان لكلمة عطوفة المحافظ التأثير الحسن لدى العميد الأمريكي ، ذهب بعدها شاكراً ، مودعاً بمثل ما استقبل ، وهذا دليل قاطع على نفرة الشعوب الحرة من سياسة حكوماتها ، ومقت الصهيونية المتجنية الآثمة العاتية .

فالأمة العربية بأسرها لا ترتضى واحد من رجالاتها المسئولين أن يمثل الدور الذى مثله من قبله أبو عبد الله الصغير فيستحق لعنة الأحفاد كما استحقها ذلك الخليفة « الضعيف الإرادة » .

وإنما نريد كل واحد منهم أن يمثل ذلك الدور الذى مثله المعتصم العباسى ، فيلبى نداء الفتاة العربية السبية فى فلسطين ، كما لباها ذلك الخليفة بعمورية .

وبهذا يصبح كل عربى فى نفسه معتصماً ، فلا يتخلف أحد عن إجابة النداء والواجب . إن فى تقديم الدم كما فعل طلاب المدارس العليا بدمشق ، وذلك بتقديم دمائهم لجرحى المجاهدين ، وهى أقصى ما يملكونه ، أو فى المال أو فى التضحية بكل ما يمتلكون

إن هذه الجيوش العتيدة الزاحفة إلى ساحات الجهاد فى الأراضى المقدسة ، أولى القبلتين ، لتطهيرها من أرجاسها وأنجاسها تخوض اليوم هناك مع شذاذ الآفاق معركة الموت أو الحياة ، وهى لن تتراجع عن تصميمها — كما جاء سابقاً — ما لم يكتب لها الظفر بدفن اللقيطة وأهلها ... وما غلب قوم عن قلة إن كانوا متساندين متعاضدين ، والنصر من عند الله يؤتيه من يشاء من عباده ، وهو جدير بمنحه للمؤمنين ...

وإن مصر وهى المتبنية لهذه الحركة التحريرية نظراً لنمو نواة الجامعة العربية فى واديها وعلى ضفاف نيلها السعيد ، لن يعجزها المال والرجال ، وتكتل الشعوب العربية فى ظليل راياتها لمتابعة هذه الحركة حتى النصر النهائى ، فإما رايات خفاقة إلى الأبد ، وإما ميتة شريفة — لا قدر الله — وحياة خالدة عامرة بالجهاد والمفاخر ...

وليست هذه هى المأثرة الأولى التى حفزت هذا القطر الشقيق إلى تبنى قضايا العرب ، وهى مأثرة من مآثر لا تزال ماثلة للعيان فى الزحف المصرى لإقامة الدولة العربية الكبرى فى ظل ساكن الجنان جد الأسرة العلوية محمد على باشا وولده إبراهيم ...

(دمشق) حسنى كنعان

في أخريات الشباب

للأستاذ حسين الظريفي

أصبحت لا غضا ولا ذاويا … أحيي شبابا لم يعد ذاهيا
مالت إلى المغرب شمس له … كان الضحى أمس بها ضاحيا
لقد مضى عهد الصبا وانقضى … مقتضيا أوطاره قاضيا
إذا تذكرت أحايينه … كنت به القصة والراويا

يا حسن أيام بصدر الصبا … لم يبق منها الدهر لي باقيا
كانت بها لي ميعة من صبا … أسحب من أذيالها الضافيا
تغفل عيني عين دهري إذا … ما رحت فيها لاعبا لاهيا
لا أحسب الشمس سوى غادة … تستأسر الحاضر والباديا
دانية منا على نأيها … يا رب ناء لم يكن نائيا
إذا أطلت من عل لم تدع … شيئا على وجه الثرى خافيا
كانت ترى مني أخا غفلة … عما جرى أو لم يزل جاريا
طفلا ترى في جنبات الحمى … لم ير أهلوه له ثانيا
وطالما كانت على دجلة … تبصر مني كاتبا ماحيا
ألبس من أنوارها حلة … لا تعدم العاطل والحاليا
وقد أظل الصبح مستدفئا … من شدة البرد بها شاتيا
ولا تغيب الشمس حتى أرى … عنها بديلا ولها قافيا
وربما مر سحاب بها … فاتخذت منه لها واقيا
تبدو نجوم الليل من بعدها … مبدية ما لم يكن باديا
أطمع أن تطرح في راحتي … ولو بذلت الثمن الغاليا
وما لعيني هلال بدا … إلا وأعجبت به رائيا
أحسبه من فضة زورقا … من الحبيبين جرى خاليا
والبدر يهدي الليل من نوره … ما لم يعد ليلا به داجيا
لم ألفه للشمس إلا أخا … كان وما زال لها تاليا
وكلما مر نسيم الصبا … مر يجني رائقا صافيا
ولم يزل دهري بي ماضيا … لا تعبا يوما ولا وانيا
حتى انجلى شرخ شبابي به … مستهديا مهتديا هاديا
يبسط من راح الهوى راحة … ولم يكن من راحة صاحيا
إذا دعته للعلى دعوة … أدرك فيها المثل العاليا
شرخ شباب ما تذكرته … إلا وقد عددت له ثانيا
يحضرني معتملا آملا … ورائحا في يومه غاديا
صاحبت مذ صاحبته مهجة … تفتح الحب بها ناميا
ثم استوى فيها على سوقه … ثم تبدى زاهرا زاهيا
ثم انثنى يعطى الجنى عن غنى … يشبع من كان به طاويا
غذيت آدابي بأثماره … وما يزال الطاعم الكاسيا

سقيا لشرخ من شباب مضى … ما كنت في يوم له ساليا
أصبح أبياتا يغنى بها … فتطرب السامع والشاديا
حليت ديواني بها قائلا … لولا حلاها لم يكن حاليا
لم تبق عندي من شبابي سوى … بقية لست لها باقيا
ولست بالجاهل ما في غد … ولو على الناس بدا خافيا
كأنني بالشيب في لمتي … أوقد نارا وانتفى ما ضيا
لا يترك الدهر له صاحبا … حتى يرى شيخا به فانيا
ذان الجديدان يجدان بي … ولا يجددان لي باليا
فلا أطاش الله لي رمية … كنت عليهما بها راميا

حسين الظريفي

الأدب والفن في أسبوع

عاصفة بولندية حول « بانت سعاد » :

لأول مرة تقع في يدي — من بريد الرسالة — « النشرة الإخبارية » للمفوضية البولونية بالقاهرة ، وثبتت عيني بها على موضوع أخذ نحو صفحتين منها ، جعل عنوانه « خطاب مفتوح إلى الدوائر العلمية : كعب بن زهير بين وارسو والقاهرة — قصة مخطوط عربي قديم »

وتتلخص القصة كما رونها النشرة في أن مستشرقين يملكان نسختين خطيتين لقصيدة « بانت سعاد » لكعب بن زهير ، وهذان المستشرقان هما البروفسور كوفالسكي البولندي ، والدكتور فيشر الألماني ؛ أما فيشر فقد أهدى نسخته إلى دار الكتب المصرية ، وأما كوفالسكي فهو يعمل منذ ثلاثين عاماً في تصحيح المخطوط وإعداده للنشر ، وأبلغ المستشرقين بشروعه في العمل « كما أعلن احتفاظه بحق الأسبقية في هذا العمل » ولما شرع في طبع الكتاب جاءت الحرب فتوقف نشر الكتاب وما كادت تنتهي حتى استأنف عمله ، وأتم طبع الكتاب . وفي يناير سنة ١٩٤٨ بلغ كوفالسكي أن دار الكتب المصرية في سبيل إعداد المخطوط الذي لديها للنشر معتمدة في ذلك على ما تركه لها فيشر ، فأرسل إليها كتاباً « يعرب فيه عن رأيه في أن قيام دار الكتب بإعداد مخطوط انتهى طبعه بالفعل ، مضيعة للوقت وإسراف في الجهد والمال ، وأن من المصلحة العلمية توحيد الجهود والاقتصار على ما أتمه بالفعل » ولما لم يتلق رداً على هذا الكتاب أرسل إلى المفوضية البولندية بالقاهرة لتتصل بدار الكتب في هذا الشأن ، فكتبت المفوضية إلى الدار تسأل عن حقيقة هذا الموضوع ، فلم تتلق منها رداً « فأرسلت أحد موظفيها في يوم ١٧ مارس ١٩٤٨ فقابل حضرة مدير دار الكتب الذي أبلغه صحة ما وصل إلى علم البروفسور كوفالسكي ، وأن الأستاذ أحمد زكي العدوي رئيس القسم الأدبي في الدار يقوم في الوقت الحاضر بإعداد المخطوط وأنه أنجز نصفه تقريباً . ووعد حضرة مدير دار الكتب ممثل المفوضية بإرسال رد رسمي إلى المفوضية بوجهة نظر الدار ، ولكن لم يصل هذا الرد إلى المفوضية » .

ثم ختمت النشرة الموضوع بقولها : « ولما كانت مهمة المفوضية هي حماية حقوق المواطنين البولنديين ، ولما كانت المفوضية حريصة كل الحرص على تجنب أي شائبة تشوب العلاقات الثقافية بين بولندا ومصر والعالم العربي ، فإنها تنشر هذه القصة لتحيط المهتمين بالأمر بأسبقية البروفسور كوفالسكي في هذا العمل العلمي ، وهي ترجو مخلصة في أن يوفر الآخرين (كذا) الجهد والمال الذي يبذل لإنجازه بالفعل » .

وأول ما يسترعى النظر في هذه القصة هو اشتغال المستشرق كوفالسكي بتصحيح قصيدة « بانت سعاد » منذ ثلاثين عاماً ، وحرصه على إعلان أسبقيته في إخراجها وطبعها ، مع أنها غير محتاجة إلى كل هذا الجهد ، ومع أنها كما قال جورجي زيدان في آداب اللغة العربية « طبعت مراراً بمصر وأوربا وشرحها كثيرون منهم ابن دريد والتبريزي وغيرهما في العصور المختلفة إلى الآن ، ومن الأصل والشروح نسخ كثيرة في مكاتب برلين ولندن والاسكوريال ومصر وغيرها » .

والظاهر أن المخطوط الذي طبعه كوفالسكي هو ديوان كعب ابن زهير وفي جملته قصيدة « بانت سعاد » وأن المفوضية البولندية لم تفهم عنه تماماً ، ويدل على هذا أيضاً أن النسخة التي أهداها فيشر إلى دار الكتب المصرية (والتي تقول النشرة إنها مثل نسخة كوفالسكي) هي مخطوط جامع لشعر زهير بن أبي سلمى وابنه كعب ، وقد وصفه فيشر في كتابه المصاحب للمخطوط ، إلى مدير دار الكتب المصرية (وكان إذ ذاك الدكتور منصور فهمي) بقوله : « يحوي هذا المخطوط القديم ديوانين من الشعر العربي القديم ، أحدهما للشاعر الجاهلي الكبير زهير بن أبي سلمى والآخر لابنه كعب بن زهير شاعر « البردة » . وسبق أن قلت لكم : إن من رأيي أن هذا المخطوط القديم جدير بأن يصور تصويراً شمسياً وأن تضم النسخة المصورة إلى مجموعة المخطوطات التي بدار الكتب المصرية . كذلك جدير بأن يصدر في طبعة منقولة عن هذه النسخة المصورة . واليوم لازلت عند رأيي هذا وعلى أي حال فديوان كعب بن زهير جدير بهذا ، لأنه لا يعرف له نسخة ثانية . وهذا سبب عدم نشره حتى الآن ماعدا البردة » وقد نشر هذا الكتاب في صدر « ديوان زهير بن أبي سلمى » الذي أخرجته دار الكتب المصرية والتي قالت في أول مقدمته :

« هذا ديوان زهير بن أبى سلمى ، وسيليه فى النشر ديوان ابنه كعب . ولم يعرف شعر كعب مجموعاً فى ديوان قبل ذلك وسنشرع فى إخراج شعر كعب عقب ظهور هذا الديوان الجامع لشعر زهير وقد اعتزمت الدار نشر هذين الديوانين بعد أن اهتدت إلى مخطوط جامع لشعرهما محفوظ بمكتبة الجمعية الشرقية الألمانية بمدينة هلة يرجع تاريخه إلى سنة ٣٣٠ هجرية » .

ودار الكتب تعمل الآن فعلا فى إخراج ديوان كعب بن زهير ، وقد تولى إتمام تصحيحه الأستاذ عبد الرحيم محمود بعد وفاة الأستاذ زكى المدوى فى أوائل مايو الفائت ، وقد أوشك الأستاذ عبد الرحيم على الفراغ منه ، وستصدره الدار قريباً .

ومما يذكر أن الأستاذ الميمنى الهندى عثر فى استامبول على مخطوط لديوان كعب بن زهير مع شرح له ، وأرسله إلى دار الكتب لطبعه ، فوجدت الدار أن شرح مخطوط فيشر (وهو للسكرى) أوفى من شرح مخطوط الميمنى (وهو للاحول) ومع ذلك فهى تستفيد من شرح الأحول فى تصحيح المحرف من شرح السكرى وغير ذلك .

ومن غريب الاتفاق أن المستشرق كوفالسكى توفى فى أول مايو الماضى فقد نشرت المفوضية البولندية نبأ وفاته فى نفس النشرة التى فصلت فيها الموضوع الذى نحن بصدده ، وغرابة الاتفاق أنه توفى فى الأسبوع الذى توفى فيه الأستاذ زكى المدوى ..

وقال لى الأستاذ مرسى قنديل مدير دار الكتب المصرية : جاء إلى موظف مصرى بالمفوضية البولندية ، وكلمنى فى هذا الموضوع ، وعرض على ملازم من عمل المستشرق كوفالسكى فى ديوان كعب بن زهير فوجدتها تختلف عن عملنا فى بعض النواحى فمنهجه يفيد المستشرقين أكثر مما يفيد القارئ العربى بخلاف منهجنا الذى يتجه إلى تحقيق الفائدة الكاملة للقارئ العربى ، على أننا ننشر ديوان كعب بن زهير تنفيذاً للبرنامج الموضوع لإحياء آدابنا العربية ، ولنا فى ذلك طريقتنا وجهودنا الخاصة ، فهل نقطع العمل فى إخراج كتاب لأن أحداً ما أبلغنا أنه أخرج هذا الكتاب ؟

وبعد فماذا تريد المفوضية البولندية ؟ إنها تذكر أمرين : « حماية حقوق الواطنين البولنديين » و « الحرص على الملاقات الثقافية بين بولندا ومصر والعالم العربى » فما هو حق المواطن البولندى الذى طبع كتاباً تطبعه دار الكتب المصرية ؟ إن كانت تريد إعلان سبقه فلم يعتد أحد على هذا الحق ؟ وإن كانت تبغى النصح لنا بادخار الجهد والمال وعدم بذلهما فى عمل تم مثله كما قالت ، فنحن أدرى — مع الشكر — بتقدير قيم العمل فى خدمة أدبنا ، ولا أريد أن أظن أنها ترمى إلى عدم المنافسة فى بيع نسخ الديوان ..

أما « الملاقات الثقافية » فإن الأمر لا ينبغى أن يمسها بسوء ... وهو على كل حال أهون من حادث السفينة البولندية فى مياه تل أبيب ، ومن تأييد بولندا قيام دولة يهوديه بفلسطين فاذا كان هذا وذاك لم يؤثرا فى الملاقات السياسية فإن ديوان كعب بن زهير سيمر هو أيضاً بسلام .

دعاء جديد :

وضع فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مأمون الشناوى شيخ الجامع الأزهر دعاء ، ليقنت به المسلمون فى صلاتهم ، نصه :

« اللهم انصرنا فإنك خير الناصرين ، وثبت أقدام عبادك المجاهدين ، واضرب بسيوفهم أعناق أعدائك الباغين ، وأنزل سكينتك على قلوب المؤمنين ، وأيدهم بنصر من عندك مبين ، يا أرحم الراحمين ، وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم »

وقد ألف فضيلته هذا الدعاء لمناسبة الحال الحاضرة ، حال القتال فى فلسطين ، وفضيلته يعلم أن المجاهدين فى فلسطين لا يحاربون بالسيوف ، ولو أن السيوف كانت أسلحتهم لما طالت أعناق أعداء الله الباغين ، فدونها إذن حقول الألغام ومرامى المدافع ومساحب الدبابات والمصفحات .

وذلك الدعاء — ولا شك — تجديد ، فقد ألفه شيخ الأزهر زيادة على الدعاء المأثور ، ولكن التعبير بالسيوف لا يتلاءم مع هذا التجديد ، فهلا قال فضيلته بدلا من ذلك :

« واضرب بقاذفات قنابلهم مستعمرات الصهيونيين ، ودك بدباباتهم ومدافعهم حصون الباغين ، واجعل أثام الأعداء برداً وسلاماً على عبادك الفدائيين » .

أغنيات قومية :

قالت إدارة الإذاعة إنها عنيت منذ بداية الحرب واشتراك الجيش المصرى فيها ، بتقديم برامج حماسية لتقوية الروح القومية وإن المطربين بها اتجهوا بوحى من شعورهم ، وبتوجيه فى إدارة

الإذاعة ، إلى هـذا الغرض مما أضفى على برامجنا لوناً جديداً لم يكن مألوفاً منذ وقت طويل .

قرأت هذا الكلام فى مجلة الإذاعة ، ثم سمعت مطرباً يغنى إحدى الأغنيات التى وصفتها الإذاعة بأنها قومية ، سمعته يردد :

ما نفوتش مطرحنـا إحنـا العرب إحنـا

وسمعت مطربة تغنى أغنية « قومية » أيضاً مطلعها :

عايز أعيش عايز اتهنى عايز أشوف نفسى فى جنة

فهل قصـارى جهادنا أننا « ما نفوتش مطرحنا » ؟ وهل يضفى الذى « عايز يتهنى » لوناً جديداً على برامج الإذاعة ..؟

فرحة النصر :

كنت قرأت إعـلاناً عن ظهور ديوان شـعر منثور اسمه : « وحى القيثارة » لزينب محمد حسين . ولم يتح لى بعـد أن أقرأ هذا الديوان ، ولـكنى قرأت لصاحبته بالعدد الأخير من جريدة الحوادث قصيدة عنوانها « فرحة النصر » قالت فيها :

« إن حبيبى الشجاع فى سبيل الحق قد ذهب بعيدا ...

تحرسه عين الله ودعوات قلبى الشاب ...

وتهتف له ملائـكة السماء هتافات الحب وتباركه ...

غداً تعود إلى يا بطلى الحبيب مكللا بأكاليل النصر ...

وفى عينيك نظرة مشرقة جذابة ...

تتحدث عن بطولتك وجهادك ...

وبسمتك الرقيقة تزيدها شجاعتك فتنة وجمالا ...

وصوتك الهادىء المعبر .. يضفى بكلماتك المتحمسة على رجولتك قوة ومهابة ... »

لم أستطع أن أخفى ارتياحى إلى هذا المسلك الشـعرى وإن يكن فى أول الطريق ، فهذه الشاعرة تحس بما حولها ، وتؤدى مشاعرها هذا الأداء السليم الصادق الذى ينم على شخصية الأنثى وحسن تقديرها للبطولة .

وإذا كنا قد اغتبطنا بالمقاتل الشجاع فى فلسطين فإنا نغتبط أيضاً بشاعرة تحدثه هذا الحديث ...

مسابقة أدبية ثقافية :

قررت وزارة المعارف تنظيم مسـابقة أدبية ثقافية ، تمنح للفائزين فيها جوائز مختلفة ، وهى كما يلى :

١ — تمثيليات قصيرة للمسرح المدرسى ، وقيمة جائزتها الأولى أربعون جنيهاً للتمثيلية ذات الفصـل الواحد ، وسبعون جنيهاً لذات الفصلين ؛ وقيمة الجائزة الثانية ثلاثون جنيهاً لذات الفصل الواحد ، وخمسون جنيهاً لذات الفصلين .

٢ — تمثيليات قصيرة للاذاعة المدرسية ، وجائزتها الأولى ثلاثون جنيهاً ، والثانية عشرون جنيهاً .

٣ — المسرحيات العامة ، وجائزتها الأولى مائة وخمسون جنيهاً ، والثانية مائة جنيه .

٤ — القصة الطويلة ، وجائزتها الأولى مائة وخمسون جنيهاً ، والثانية مائة جنيه .

٥ — القصص القصيرة ، وجائزتها الأولى خمسة وعشرون جنيهاً ، والثانية عشرون جنيهاً .

٦ — بحوث أدبية وفنية ، وجائزتهـا الأولى مائة وخمسون جنيهاً ، والثانية مائة جنيه .

٧ — بحوث فى التاريخ والآثار ، وجائزتهـا الأولى مائة وخمسون جنيهاً ، والثانية مائة جنيه .

٨ — الرحلات ، وجائزتها الأولى مائة وخمسون جنيهاً ، والثانية مائة جنيه .

٩ — العلوم المبسطة ، وجائزتها الأولى مائة وخمسون جنيهاً ، والثانية مائة جنيه .

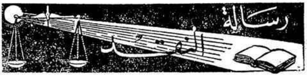
الباطن غير الواعى :

عقب الأديب « عثمان موسى » على فقرة مما كتبته فى تلخيص محاضرات تيمور ، تقتضى تفريقاً بين العقل الباطن والواعى — قال : « والمفهوم أن البـاطن والواعى اسمان لمسمى واحد » .

ويظهر أن هذا الفهم مستقر عند الأديب فى عقله الباطن ، وكان فى حاجة إلى مراقبة من عقله الواعى . .

من قال لك يا سـيد عثمان إن الباطن والواعى اسمان لمسمى واحد ؟ ! . .

العباسى



على هامش كتاب :

سعد زغلول من أقضيته (*)

« إلى القانوني الأديب الأستاذ عبده حسن الزيات تحية شكري وإعجابي »

للأستاذ عدنان الخطيب

خسارة :

عرف الشاب « العمل الحكومي » صغيراً ، عرفه في أبشع صورة وفي أجملها ، عرفه يوم كان « راتبه » يملأ جيبه وكلتا يديه ، عرفه جميلا في مظهره ومكانته عند الناس ، ولكنه عرفه قبل كل شيء سماً قاتلا يميت المواهب ، ويقضي على ما في النفس الأبية من عزة وكرامة ، عرفه قيداً في عنق صاحبه ، يحد من نشاطه ويقيد من حركاته ، ومازال يضيق حوله حتى تنفلج أعصابه وتنشل حركته ، ثم لا يكون إلا كالقبر لا هواء فيه ولا نور ، ولا حيلة لمن فيه إلا انتظار يوم البعث والنشور ، يوم الإحالة على « المعاش » والاعتكاف في البيت شيخاً أحنت الأيام عظامه ، وتصلبت منها شرايينه ، ينتظر يومه الأخير ، كما كان ينتظر آخر الشهر يوم القبض ووفاء الديون .

نعم عرف الشاب « الوظيفة » وخبر حقيقتها فجزع من مصير كمصير أربابها ، وهو الذي شرب لبن الكرامة والأنفة رضيعاً ، وعشق الحرية وجوّها يافعاً ، ثم كان جريئاً بفطرته ووراثته ، لا يعرف كبيراً لا يقال الحق في وجهه ، ولا يعترف بفضل لمن لم يكن من أهل الفضل ولا الفضيلة من صفاته ، جزع من أن تطول أيامه فيهـا فتخف قدرته على الانفلات من أسارها ، فتركها غير آسف عليها ، ثم ساح في الأرض ليزيد في علومه وتجاربه ، ويرضي ضميره وطموحه ، وعاد يعمل حراً طليقاً في المهنة التي ارتضاها لنفسه وأحب العمل فيها على منهج رسمه بنفسه ، وأسلوب يتفق وآماله ومبادئه .

بدأ الشاب يعيش العيشة التي كان يهواها ويصبو إليها ، وأخذ يملأ أوقات فراغه بتدوين ذكرياته ورحلاته ، وكان « للوظيفة » وقصص « الموظفين » حظ منها عظيم . لقد فضح شيئاً من حياتهم والجو الذي يعيشون فيه ، وحلل نفسية « الموظف » تحليلا ليس فيه رفق ولا محاباة ، وإن كان فيه بعض العطف وكثير من الشفقة . قرأ الناس بعض ما نشر من هذه الذكريات فعجبوا منها واستغربوا ما فيها . أضحك بها بعض زملائه القدماء ، وأبكى الكثير منهم على نفوس أفسدها جو « الوظيفة » وحياة خسروا فيها أثمن ما في الحياة ، خسروا فيها حرية التفكير ، ولذة الانطلاق من القيود .

هذه هي قصة الشاب الذي خسر اليوم حرية « المحامي » التي أحبها ، وجو « المحاماة » الذي عاش فيه طلقاً عاملا على تحقيق رغباته العلمية ، وبلوغ أهدافه الثقافية .

أليس من الغريب أن يخبرك هذا الشاب بنفسه أنه ترك اليوم مهنته ليقوم « بعمل حكومي » كلف به ، وهو الذي رفض قبله عدة مرات تكليفاً له في « الوظائف » العامة قيمته ، وفيه تقدير لدراسة عالية أضافها إلى دراسته القانونية . إن قائداً من قواد الجبهة الوطنية ومعلماً من معلمي الإخلاص والنزاهة يدير اليوم وزارة العدل في سورية ، يطلب من الشاب أن يؤدي « خدمة مدنية » في جبهة « القضاء » الوطنية فيحار الفتى ويكاد يرفض لولا أن ثقة الطالب ثقة غالية نادرة لا تباع ولا تشترى بمال ، ولولا أن مقر « الخدمة » في « جبهة » لا ذل فيها ولا صغار ، ولا يخرج من فيها إلا ظافراً منتصراً ما دام ناصع الجبين و « سلاحه أبيض » لا يعرف صدأ الأيام ، ولم تلوثه « رغبة أو رهبة » ؛ نعم كاد يرفض لولا أنه ما يزال يشعر بقوة ومناعة يستطيع معها دفع ما وضع على عاتقه يوم يجد فيه أعراض « الوظيفة » أو شيئاً من سمومها الفتاكة .

من غرائب المصادفات :

للمصادفات في هذه الحياة أثر عظيم ، ولغريبها تاريخ يدون

(*) أخرجته مطبعة الرسالة بالقاهرة في عام ١٩٣٩ .

ويقرأ ، وجيلها من النوادر التي تذكر وتنشر ، فإن في ذكرها متعة ولذة ، وإن في نشرها اعترافاً بجمالها وتقديراً لموقعه من النفس الشاعرة المقدرة .

لقد أخرج القانوني الأديب الأستاذ عبده حسن الزيات كتابه القيم عن القاضي العظيم سعد زغلول سنة ١٩٤٢ ، وقد أحب يوم عقد مؤتمر المحامين العرب في دمشق التلطف بإهدائي نسخة منه لو وجد معه من الكتاب نسخة ، ثم عاد الأستاذ الصديق إلى مصر وانقضت على عودته بضعة أشهر عمل فيها على ما يظهر ، على إخراج كتابه الظريف « من يوميات محام » وما كادت الصحف تعلن خروج الكتاب إلى الأسواق ، حتى سارعت إلى إرسال من يقتني لي نسخة منه ، ويعود الرسول يخبرني على لسان بائع الكتب ، أن الكتاب لم يصل بعد إلى دمشق. وتشاء الصدف أن يدخل إلى مكتبي ساعتئذ ساعي البريد يحمل إلى رزمة مصدرها مصر ، ففضضت غلافها ، فإذا هي كتاب «سعد زغلول من أقضيته» موشحاً بإهداء يدل على رقة في الشمائل ، وكرم في الأخلاق …

وضعت الكتاب أمامي وأخذت أفكر في تلك المصادفة الغريبة ، وأبت الصدف إلا أن تأتي بالعجائب ، فأتاني في تلك الجلسة مرسوماً جمهورياً يدخلني في عداد « القضاة » ، وينيط بي عضوية دائرة الجنح والجنايات في مدينة حمص ! ! … ولئن كانت هذه المصادفة من الغرائب فهي بلاشك أجل مالاقيته في حياتي منها ، لمكانة سعد من نفسي ، وهو القائد العظيم والزعيم المرشد المحبوب ، ولما أكنه للاستاذ الصديق عبده حسن الزيات من آيات التقدير والإعجاب بأدبه الرفيع وأخلاقه السامية .

صلة القانون بالأدب :

سئلت مرة عن رأيي في صلة القانون بالأدب ، فأجبت السائل وكان جوابي مقالاً نشرته مجلة « الصباح » السورية ، بدأت فيه بتعريف الأدب والقانون ، ثم ألمت إلى تاريخهما الذين يتصلان بالإنسانية في مهدها ، وبعد أن تكلمت عن صلاتهما في الماضي قلت « ولاشك أن صلة القانون بالأدب أصبحت بحكم المستوى الثقافي العام ، أحكم ارتباطا ، وأكثر تداخلا ، كما أصبح رجل كل منهما يشعر بأنه لا يستطيع الانفراد بأحدهما دون أن يتممه بالآخر ؛ فرجل الأدب وهو اليوم صاحب رسالة اجتماعية هامة ، لم يعد في إمكانه الاستغناء عن الثقافة القانونية ليؤدي رسالته على وجهها الأكمل ، وليتبوأ المركز اللائق بمن يحمل مثل رسالته ، رسالة الحياة الخالدة . إن الأديب في العصر الحديث أصبح محتاجاً إلى الإلمام بكثير من الثقافات على اختلاف أنواعها ، والثقافة القانونية في مقدمة هذه الثقافات ، وبقدر سعة هذا الإلمام وعمقه يبرهن الأديب للناس أنه في صميم الحياة التي يحمل رسالتها » .

ثم تكلمت عن رجل القانون فقلت إن حاجته « إلى الأدب كحاجة المادة إلى الروح لتصبح جسما حياً ، ومكانة القانوني في المجتمع إنما تتناسب في قيمتها مع حظه من الأدب ومميزاته الأدبية سواء كان مشرعاً أو قاضياً أو محاميا … »

ولقد فصلت هذا القول بالكلام عن حاجة رجال التشريع والقضاء والمحاماة إلى الأدب ومنه قولي : «والقاضي يجب أن يكون أديباً يحسن الأبانة عن وجوه الحق ، قادراً على مناقشة دفوع المحامين اللحانين بلغة صحيحة لا تترك لهم مجالا للبحث أو التذمر . نقرأ قراراته فتقرأ علماً وأدبا يستهويانك وإن لم تكن ذا صلة بها ، وكثير من المثقفين يقرأون أحكام بعض القضاة فيعجبون بالتفكير السليم والفقه القانوني يعرض بأسلوب متين ولغة راقية ، بينما يعرض المشتغلون بالقانون عن تتبع أحكام أكثر المحاكم لضعف لغتها وتفكك أسلوبها مما يشوه المادة القانونية إن وجدت فيها » ثم ضربت مثلا فقلت : « فالميزات الأدبية ، مثلا ، هي التي جعلت نجم القاضي سعد زغلول يتألق في سماء القضاء كما تألق في سماء السياسة والوطنية . وشخصية سعد القاضي كانت موضوعاً طريفاً طرقه أحد رجال القانون الأدباء ، عزز به مكانة سعد في النفوس وأضاف إلى شخصيته لوناً جديداً من ألوان الخلود » .

وكان كلامي هذا صورة خاطفة وأثراً من آثار قراءتي لكتاب « سعد زغلول من أقضيته » يوم صدوره . أما اليوم فلا بد من عودة إلى «سعد» عودة فيها تؤدة «القاضي» وتدقيقه واستيعابه ، وفيها دراسة التلميذ الطموح لشخصية يعتقد أن صاحبها مثال يحتذى ومرشد تقتفى آثاره ، وقائد تستلهم من روحه الشجاعة بعد أن قدر لهذا التلميذ النزول إلى ساحة الجهاد التي خلف الزعيم فيها آيات من الجهد والبطولة .

كتاب الزيات :

لا شك فى أن كتاب الأستاذ الزيات يعتبر أول كتاب من نوعه فى العربية ، فموضوعه شخصية سعد زغلول من خلال احكامه فى القضاء ، وبالرغم من صعوبة العمل الذى أخـذه المؤلف على عاتقه ، ووعورة الطرق التى سلـكها توصلا إلى غايته ، فقد انتهى إليها بعد أن ملأنا إعجابا بأدبه وطول أناته ودقة تمحيصه وعمق تتبعاته ، وتقديراً لما بذله من جهود جبارة وأوقات ثمينة قضاها فى تتبع آثار سعد القضائية ، ونسخ ما عثر عليه من احكامه بعد قراءة ملفاتها المطروحة فى مستودعاتها ما يقرب من نصف قرن .

وأنا أرى أن أفضل تقريظ لهـذا الـكتاب أقوم اليوم به ، بعد مرور سنتين على صدوره ، اهداء هذه الباقة التى اقتطفتها من حديقة الأستاذ الزيات إلى الألوف من قراء « الرسالة » الذين لم تتح لهم فرصة قراءة هذا الـكتاب الفريد الذى يقع فى اربعمائة صفحة قسمت إلى تسعة فصول ، هذه زبدتها بعناوينها مرتبة بترتيبها فى الـكتاب .

١ — ثورة المصلح وغيرة العادل :

أصدر سـعد أحكاماً كثيرة فى دعاوى رفعت إليه ، وإنها لأحكام خالدة تجلت فيها روح الثائر المصلح والحاكم العادل ، أحكام تملأك إعجاباً وتقديراً ، أحكام كل مافيها ينبئ (عن قريحة قانونية ذات مرونة ولباقة ، ونفس شديدة الاستجابة لأوامر العدل المطلق ونواهيه) ، وأن الحـكم الواحد منها ليخدم (اغراضاً اجتماعية ووطنية كبيرة قبل أن يخدم صاحب حق بإيتائه حقه : يخدم القضاء بما يؤكد ويعلن استقلاله ، ويخدم العدالة بما يمهد أمامها من طريق أفسده الشوك ، ويخدم التشريع بما يوضح له من نقصه وسخفه ، ويخدم الفقه بترحيب آفاقه وتسديد خطاه فى سبيل العدل والمعقول) ؛ فإن أردت الدليل على هذا الـكلام فاسمع ما يقوله سـعد فى أحد أحكامه [... لا يمكن أن يكون المراد بهذه الأعمال الإجراءات الاستبدادية المخالفة للعدل والقانون والمضرة بحقوق الأفراد وليست فيها مصلحة عامة للناس ، لأن ذلك لا ينطبق بوجه من الوجوه على مبدأ الحـكومات العادلة ، ولا يصح أن تتضمنه شرائعها] !

وسعد الذى كان يطبق القانون على الناس لم يكن ينظر إلى القانون كنصوص مجردة واجبة التطبيق ، بل كان ينظر إلى القانون كوسيلة غايتها (اثبات جوهر الحق والعدل ، ونفى الغش والحيلة والغصب ، وأن مساره هذا لينتظم احكامه) جميعاً ؛ وهو إذا حاول مرة أن يقضى على حيلة تسلب شخصاً حقاله ، رغب إلى القانون ألا يحاول حماية المحتال لأنه من العار [أن يمنح القانون حقاً ثم يجيز الحيلة لاسقاطه] .

لقد كان سعد يصدر من وراء قوس القضاء أحكاما جديرة بالخلود لأنها كانت (تستخلص الحق من ركام الانكار واللجج) وإن هى اصطدمت يوماً بصلابة القانون وجدتها (قد لانت شيئاً تحت معول بناء حازم ، فى حزمه رفق ، وفى رفقه عدل ، وفى هدمه خلق وإيحاء وتجديد وتشييد) ..

إن حكماً يحوى هـذه الفقرات [... أن وقوع مثل هذه التصرفات بحجة اظهار الفاعل أو كشف الحقيقة ، أشد خطراً على النظام العام من خفاء الجانى أو تخليصه من العقاب ، لأنه لا شيء أسلب للأمن ، وأقلق للراحة ، وأزعج للنفوس ، من أن يعبث بالنظام من عهد إليه حفظ النظام !] ليس بحكم (قاض يفصل فى تهمة أفراد ، إن هو إلا — حكم — مصلح ثائر يعرف للثورة قواعدها ، وللتمرد إبانه ، واجتماعى مرشد يثبت للمجتمع بالعدل اركانه ، ورجل دولة حريص على « تحـديد المسؤليات وتعيين المسؤلين ») .

(يتبع) **عدنان الخطيب**



أثر التشيع فى الأدب العربى (١)

للأديب محمد سيد كيلانى

مؤلف كتاب « أثر التشيع فى الأدب العربى » هو الأديب محمد سيد كيلانى ، والمؤلف وكتابه حريان بأن نهش بهما ونبش لهما ، فقد ألف الأديب كتابه على نحو مقبول [سنعرضه] وهو طالب بالسنة الأولى بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، وأسلوبه فيه واضح سليم يدل على وضوح موضوعه فى ذهنه وتمكن قلمه منه ، بل إن أسلوبه فيه أسلم وأوضح من أسلوب كثير من أساتذته فيما يخرجون لنا اليوم ، ونحن نقرر هذه الحقيقة آسفين ، والمؤلف يتناول كثيراً من أطراف موضوعه المختلفة ويعرضها عرضاً رفيقاً واضحاً . ولذلك كله نتلق كتاب مؤلفنا « الطالب الأديب » بالرضا والغبطة على رغم ما لنا عليه من مؤاخذات كثيرة سنذكر بعضها بعد .

الكتاب مقدمة تبين أقسام البحث ، وأربعة أبواب : الباب الأول فيه فصلان : أحدهما تحدث فيه الأديب بالخلافة وتفرق الآراء فيمن تكون له بعد موت النبى وموقف الأحزاب المختلفة من ذلك وموقف كبار الصحابة ولا سيما أبو بكر وعمر ، ثم خلافتهما وخلافة عثمان ، وموقف الصحابة بعد قتله من على . والفصل الثانى : حديث سطحى بفرق الشيعة ومعتقداتها . والباب الثانى يبدأ بمقدمة فى مقتل الحسين وما لحق بالعلويين عامة زمن الأمويين والعباسيين ، ويليها فصلان : أحدهما فى النثر الشيعى ، ويبدأ : بالخطابة فالرسائل فالأحاديث الموضوعة فالقصص فنحل الشيعة بعض أوليائهم وأعدائهم القول وأكثره تكرار لما فى القصص . والفصل الثانى فى خطباء الشيعة وفيه ترجمة لعلى ونقد ممتع واف لكتاب « نهج البلاغة » المنسوب إليه ، ولا ترجمة لغير على هنا فيما عدا إشارة خاطفة إلى أنه لم يظهر بعد على من الخطباء غير الحسن والحسين ، وأن الشيعة انصرفوا عن نشر الدعوة بالخطابة إلى نشرها سراً ، وأن لفاطمة خطباً نسبت إليها ولعلى بن الحسين رسالة تعرف برسالة الحقوق . والباب الثالث فى الشعر وهو فصلان : أولهما فى الشعر الذى نحله الشيعة بعض أوليائهم وأعدائهم ، كعلى وأبى طالب ومعاوية وعمر ويزيد بن معاوية والوليد بن يزيد ؛ وثانيهما فى الشعر الذى قاله شعراء الشيعة فى التشيع ، وأغراض هذا الشعر : كالمدح ، والرثاء ، والهجاء ، والدفاع عن حق على وبنيه فى الخلافة ، وشعر النقائض بين شعراء الشيعة وخصومهم من الشعراء . والباب الرابع فى : شعراء الشيعة وفيه ترجمة لعشرة شعراء هم : الكميت ، وكثير ، وعبد الله بن عمر العبلى ، والسيد الحميرى ، ودعبل ، وابن الرومى والمفجع البصرى ، والشريف الرضى ، ومهيار ، وابن هانىء الأندلسى .

وقد توخى المؤلف فى كتابه النهج العلمى فجنبه ذلك كثيراً من المزالق ، ولكن صحة المنهج لا تغنى وحدها ولابد معها من وعى ناضج يحسن استخدام المنهج ، وهذا ما ليس فى وسع الأديب ولداته . والكتاب يعتمد على مراجع كلها — إلا واحداً — قديمة ، ولو اعتمد على المراجع الحديثة إلى جانبها لأنارت له الطريق . وهذا هو السر فى أن كثيراً من أقسام الكتاب بتراء ، وفى تهجم الأديب على بعض الصحابة كعمر وتصديقه خرافة المؤامرة الثلاثية بينه وبين أبى بكر وأبى عبيدة ، ولم يشر الأديب إلى مصدرها . وأظن أن مخترعها الأب لامنس المستشرق وهو قسيس اشتهر بقدحه فى الإسلام ورجاله ، ولو قرأ الأديب كتاب « عبقرية عمر » للأستاذ العقاد لبان له زيفها . ولقد كانت عبقريات العقاد وابن الرومى كفيلة بتجنيبه كثيراً من هذه المزالق ، كما أنه غفل فى بعض الفصول عن مراجعها الصحيحة كالفصل الذى كتبه فى فرق الشيعة ومعتقداتهم ، وكان حرياً به أن يعتمد على كتاب « فرق الشيعة » للنوبختى وهو أقدم وأوفى مرجع فى موضوعه ومؤلفه أجدر المؤلفين باحترام آرائهم فى هذا الموضوع ، ولا يزال كثير من العلماء غير محيطين بفضل هذا الكتاب ومؤلفه ، وكان عليه أيضاً أن

(١) نشرته « لجنة النشر للجامعيين » وطبعة دار الكتاب العربى بالقاهرة سنة ١٩٤٧ م ، وصفحاته ١٦٤ ،
يطلب من مكتبة مصر بشارع الفجالة — ثمنه ١٥ قرشاً



في المملكة الأردنية الهاشمية :

لمناسبة قيام القيادة العليا للدول العربية المحاربة في عمان ، أنشر هذه الكلمة ، أوجز فيها القول عن وصف حاضرتها وبعض مدنها ، وتجارتها ، وشؤونها العلمية وغير ذلك :

في الصيف الماضي هبطنا (عمان) حاضرة المملكة فرأيناها مدينة جميلة تتسع شوارعها المعبدة تارة وتضيق تارة ، وهي في واد تكتنفه جبال تقوم عليها أكثر بيوت المدينة ، ودورها حديثة البناء من الحجر الأبيض المنحوت ، وفيها دور لا تقل حدائقها عن بعض حدائق دور مصر الجميلة ، وفيها بضعة مساجد جليلة .

وكان لعمان في هذه الحرب شأن عظيم في التجارة ، وقد كانت البلد الوحيد في الشرق الذي يسمح لتجاره بالاستيراد من أوربة ، لذلك قصدها التجار من سورية وفلسطين وغيرهما فصدروا منها كثيراً مما كانت غاصة به من البضائع .

وأهل المملكة الأردنية عرب أقحاح ، يشتغلون بالزراعة والتجارة وتربية الأغنام . وتنتج أرضها فواكه من كل الثمرات ، وذلك لجودة تربتها في أوديتها ومرتفعاتها ، ولطيب مائها .

وقد خطت هذه المملكة الصغيرة في عددها ، الكبيرة في مساحتها ، خطوات التنظيم والعمران والتعليم والحضارة بعدة يسيرة ، وذلك بفضل عناية مليكها العالم ، واعتماده على أهل العلم من السوريين والفلسطينيين وأهل البلاد ، وقد قاربت أن تضاهي الأقطار الأخرى في الإقبال على العلم وفي نسبة المتخرجين الذين يردون مناهل الجامعات . وجل أساتذة مدرستها الثانوية من خريجي الجامعة الأمريكية ببيروت . وفيها مدرسة للعلوم الدينية ، ومدرسة للصناعة تعلم النشء بعض الحرف . يضاف إلى ذلك مدارس عسكرية قائمة في المعسكرات . وفيها صحف ثلاث ، ونواد عدة ، من أكبرها نادي جلالة الملك حسين الذي يختلف إليه كثير من الأدباء لالقاء المحاضرات المتعة . وفيها من علماء شنقيط والمغرب وسورية وفلسطين وغيرها . وسكان الحاضرة نحو خمسين ألفاً يعيشون عيشة مدنية مترفة . وفيها آثار مدرج فرعوني عتيق ، وفي جبلها آثار قلعة قديمة .

وأما مدينة (السلط) التي تبعد عن عمان نحو نصف ساعة بالسيارة ، فأبنيتها أبنية المدن لا أبنية القرى ، وبيوتها قائمة على ثلاثة تلال . وكانت فيها حركة تجارية طيبة ، لكنها انتقلت إلى عمان . وفيها مدرسة ثانوية كبيرة قائمة على ربوة شاهقة تطل على واد أغن ممرع . وفيها مسجدان ، وآثار قلعة عتيقة ، ويشرب أهلها من عينين فيها . ويسعون لمد الكهرباء إليها . وموارده من كرومها التي تمشي فيها نحو ثلاث ساعات ، وهي محيطة بالمدينة من كل ناحية . والعنب والزيت هما المحصولان اللذان تنتجهما هذه البلدة الجميلة ، فتصدر منهما إلى كل مكان ،

يعتمد على كتابي فجر الإسلام وضحى الإسلام للدكتور أحمد أمين بك ، ومقالات الإسلاميين والإبانة للأشعري ، وإلى جانب هذا التقصير في بعض الفصول ، فضول في بعضها الآخر ، فهو في الباب الرابع يطيل الشواهد التي لا موضع لها ، ولا يكتفي في تراجم الشعراء بما يتصل بتشيعهم بل يطيل تراجمهم ، ويكتفي في تراجم أكثرهم ببضعة سطور في تشيعهم . ومن أقسام الكتاب التي يجدر التنويه بها ما كتبه في نقد نهج البلاغة والتشكيك في صحة نسبه إلى علي وهـذا الشك — وإن كان قديماً — قد أيده الأديب بحجج له قوية طريفة .

وإذا كان الأديب مسئولا عن كل ما أشرنا إليه من مآخذ كالاضطراب والتقصير في جانب والفضول في جانب ، وكالأخطاء التاريخية واللغوية التي نكتفي بالإشارة إليها عن التمثيل لها — يجدر بنا إنصافاً له أن نحمل بعض هذه المسئولية على الضرورة التي تكره صاحبها على عمل قبل استكمال معداته له ، وإلا ناله من وراء العصيان شر متطير ، وأن نحمل بعض المسئولية على المرشدين الذين نصبوا للارشاد إن بالحق وإن بالباطل — فإذا ما استرشدوا لا يرشدون .

محمد خليفة التونسي

وفي جبالها كثير من الينابيع التي تروي وديانها المكتظة بالأشجار والأثمار المختلفة . ويبلغ سكانها نحو ١٨ ألفاً جلهم متحضرون يشتغلون بالتجارة والزراعة . وكانت السلط في زمن الدولة العثمانية مركزاً للتجارة ومركزاً للحكومة . وفيها جبل يرتفع نحو ألف متر عن سطح البحر ، فيه مقام للنبي يوشع ، تظهر من عنده أنوار بيت المقدس .

وفي طريق الذاهب من عمان إلى القدس أغوار قريبة من البحر الميت تزرع فيها الخضر في الشتاء ، ولا سيما في (الشونة) الزاخرة بحدائق الموز التي تبعث بثمراتها إلى فلسطين بلا انقطاع . وفيها تربة صالحة لإنبات ما يخرج في أراضي البلاد الحارة . ويخترق هذه الأغوار نهر الأردن العظيم . وفي (الشونة) يقضي جلالة الملك فصل الشتاء ، ويؤمها كثيرون من جهات مختلفة لدفئها . وهي منخفضة نحو ٣٠٠ متر عن سطح البحر . ولو أتيح إصلاح الري في هذه الأغوار لأفاضت على الناس من خيراتها وبركاتها ما يكفي الملايين .

وأما (إربد) فقائمة وسط سهول فسيحة ، وهي في طريق المسافر من عمان إلى دمشق . وهواؤها ألطف وأبرد من هواء عمان في الصيف ، إلا أن مرتفعات عمان تضاهيها في ذلك . وهي من المدن الكبيرة في شرق الأردن . وكانت تابعة في زمن العثمانيين للواء عجلون الذي يشمل الرمثة وجرش والطيبة والمزار . وحول إربد قرى فيها آثار كثيرة كقرية (رأس قيس) وغيرها .

أما (جرش) فقرية فيها جامع كبير بناه الشاميون المقيمون فيها ، وجامع قديم أقامه الجركس سكان القرية الأولون ، وأعظم ما فيها هي آثارها الرومانية المدهشة في الجبل . ويشرب الناس هناك من عين فيها عذبة …

من شئون الحرب في الإسلام :

أوصى أبو بكر قواده بوصايا خليق أن يوصي بها كل قائد ، منها :

١ — أحسن صحبة جندك .

٢ — ابدأهم بالخير وعدهم به .

٣ — إذا وعظتهم فأوجز ، فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضاً .

٤ — أصلح نفسك يصلح لك الناس .

٥ — أكرم رسل عدوك ، وأقلل مكثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به ، وأنزلهم في ثروة عسكرك ، وامنع من قبلك من محادثتهم وكن المتولي لكلامهم .

٦ — أصدق الحديث تصدق المشورة .

٧ — اسهر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار .

٨ — أكثر حرسك وبددهم في عسكرك ، وأكثر مفاجآتهم في محارسهم ، وأحسن أدب الغافل وعاقبه في غير إفراط ، وأعقب بينهم في الليل واجعل النوبة الأولى أطول من الآخرة .

٩ — لا تخف من عقوبة المستحق ولا تلجن فيها .

١٠ — لا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده ، ولا تجسس عليهم ، ولا تكشف للناس عن أسرارهم .

١١ — جالس أهل الصدق والوفاء .

١٢ — أصدق اللقاء ولا تجبن فيجبن الناس .

١٣ — ستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له .

لما التقى الجمعان في وقعة اليرموك قال رجل لخالد القائد : ما أكثر الروم وأقل المسلمين ! فقال خالد : ما أكثر المسلمين وأقل الروم ! إنما تكثر الجنود بالنصر ، وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال .

وقال عكرمة : قاتلت مع النبي صلى الله عليه وسلم في كل موطن ثم أفر اليوم ! ثم نادى (من يبايع على الموت ؟) فبايعه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور في أربعمائة من فرسان المسلمين ثم حملوا أمام فسطاط خالد حتى ضعضعوا الروم ، وهجم خالد بين خيلهم ورجلهم ، فانهزم فرسان العدو وتركوا الرجال . ولما رأى المسلمون خيل الروم تريد الفرار أفرجوا لها فتفرقت . وقتل الرجالة واقتحموا في خندقهم وهوى فيه ألوف مؤلفة بين قتيل وجريح ودارت الدائرة على الروم … وكان المسلمون نحو خمسين ألفاً ؛ والروم أكثر من مائتي ألف …

محمد أسامة عليبة



أقصوصة روسية :

تحفة يتيمة !

للكاتب الروسي أنطون تشيخوف

بقلم الأديب كمال الدين الحجازي

وصل «ساشا سميرنوف» إلى عيادة الطبيب «كوشلكاوف» يحمل تحت إبطه شيئاً ملفوفاً .

كان ساشا وحيد أمه فسأله الطبيب : كيف حالك يا ولدى ؟ فأجاب شكراً أيها الطبيب ، إن أمى ليعجز لسانها عن شكرك على حسن صنيعك بشفاء ولدها ! فقال الطبيب : إننى لم أعمل سوى ما يفرضه الواجب على كل طبيب . فقال الولد : إن أمى فقيرة أيها الطبيب الفاضل ولا تملك سوى هذه التحفة الثمنية التى أحملها بين يدَىَّ والتى أرجو أن تتقبلها . فقال الطبيب : لا داعى لذلك ولا ضرورة له . ولكن ساشا أصرَّ على تقديم الهدية إليه وألح عليه بقبولها ، وقال إن رفض الهدية يعد إهانة له وتصغيراً من شأنه ومن شأن أبيه الذى أورثه ذلك الأثر الفنى والذى هو بمثابة تذكارمنه ، فقد اعتاد أبوه أن يشترى الآثار البرنزية ويبيعها من عشاق الآثار القديمة . ثم وضع الأثر على المنضدة .

كان الأثر شمعداناً من البرنز ، جلس على قاعدته تمثالان لامرأتين عاريتين على هيئة حواء ، يستحى المرء من وصفهما ، كان هذان التمثالان يبتسمان ويميل أحدهما على الآخر بدلال كأنه يقبله ويتأهبان للرقص ! ولما أنعم الطبيب النظر فى الهدية حك رأسه وقال : لا ريب أنها تحفة فنية ولكنها ... لست أدرى ما أقوله ، فالشيطان يوسوس فى صدور الناس ! وهل من اللائق أن أضع هذا التمثال الملوث على المنضدة ؟ فقال ساشا غاضباً : ولم لا يا دكتور ؟ إنك تحمل على الفن حملة شديدة . إن هذا عمل فنى خالد . إن الروحانية تتمثل فيه بأجمل صورها . ولاريب أن الناظر إليه سينسى كل ما يحيط به من الأمور المادية ويتطلع إلى المثل العليا ! دقق النظر فيه تجد الجمال والروحانية تدعوانك إليهما ! فقال الطبيب : إنه أثر خالد يا ولدى ، ولكنك تعلم أننى متزوج ، وأعتقد أن من غير اللائق أن أضعه فى هذه الغرفة التى يغشاها كثير من النساء والأولاد دائماً . فقال ساشا : أنك تنظر إلى التمثال نظرة الشك والريبة وتتطلع إليه بأعين السوقة وعامة الناس ، ويجب أن تسمو عن ذلك يا دكتور . إنه الأثر الوحيد الذى أورثنيه أبى وقد آليت لأهدينه إليك ، فقد شفيتنى من المرض . فقال الطبيب ، وقد أراد التخلص من هذه الورطة ، لا بأس يا ولدى ، ضعه على المنضدة . وضع ساشا الشمعدان كما أشار وقال للطبيب : آسف إذ لم أجد رفيقه ولكنى سأجد فى البحث عنه ، ولم يدر الطبيب ما يقصده ساشا من رفيقه أو شريكه ، ثم ودعه وخرج .

أراد الطبيب التخلص من هذا التمثال ونظر إليه ملياً ، فخطر بباله أن يهديه إلى صديقه المحامى الذى كان مديناً له ببعض النقود وقال فى نفسه : إنها فكرة حسنة ، سأقدم إليه هذه التحفة وهو رجل أعزب كالطير الطليق . سار الطبيب إلى مكتب صديقه المحامى ، وبعد أن شكره على حسن دفاعه عنه وخدماته السابقة له ، رجا منه أن يتقبل منه هدية متواضعة وهى تمثال البرونز النفيس . وما إن وقع نظر المحامى عليه حتى أعجب بجماله ولكنه بعد أن أدمن النظر فيه قال : أعتذر يا صديقى من قبوله ، فإن أمى تزورنى دائماً ، كما أن مكتبى يؤمه كثير من الناس كل يوم ! فقال الطبيب : لا تقل ذلك يا صديقى ، إن من نكران الجميل أن ترفض مثل هذا الأثر الفنى . فقال المحامى متهكماً : « حبذا لو كانت السيقان مصقولة أو مغطاة ببعض ورق التين على الأقل » ولكن الطبيب لم يأبه له واغتنم فرصة انشغاله ببعض شأنه ووضعه على مكتبه وانصرف .

تأمل المحامي فى هذا الأثر وهم يقذفه من نافذته ولكن بدء

لم تطاوعه فقد كان الأثر جميلا ، وقال فى نفسه : ليس لى إلا أن أقدمه هدية إلى الممثل الفكاهى « شوشكين » فإن الممثلين يحبون مثل هذه الأشياء الفنية البديعة .

ولما قدم الأثر إلى شوشكين أعجب به أيما إعجاب ، كما أعجب به كثير من الناس الذين رأوه ، وقد غصت غرفته بالمتفرجين والممثلين الذين كانوا يأتون إليه فى أى وقت يشاؤون . ولما رأى شوشكين هذا العدد الغفير من الناس لم يجد بداً من التخلص من هذا الأثر الذى جلب إليه كثيراً من التعب والشقاء ، وتمنى لو كان التمثال صغيراً ليتمكن من وضعه فى درج مكتبه ، ففكر فى بيعه لأحدى النساء المولعات بمثل تلك التحف الفنية ، ولم يلبث أن باعه لها .

وبعد يومين بينما كان الطبيب كوشلكوف جالساً فى عيادته ، فتح الباب فجأة ودخله ساشا وهو يحمل شيئاً ملفوفاً بين يديه ، والابتسامة تداعب شفتيه وقال للطبيب : إنك لا تستطيع أن تتصور مقدار سرورى وابتهاجى ، فقد استطعت بعد جهد جهيد أن أحصل على رفيق التمثال وشريكه ، وأن والدتى تشاركنى الفرح أيضاً ، ثم وضع ساشا الشمعدان على الطاولة فرحاً مسروراً وخرج .

نظر الطبيب إلى التمثال وقال فى نفسه : « ترى هل شعر ساشا بأن تمثال حواء الذى أهدانى إياه قبلا كان ينقصه تمثال آخر لن تستطيع حواء أن تعيش بدونه ، فأحضر لها تمثال آدم ! ! .

(القدس) **جمال الدين الحجازى**

الندوة الأدبية
